المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

سِيمْيَائِيَّةُ الخَمْرِ في شِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ
(قِرَاءَةٌ تَأْوِيلِيَّةٌ في نَمَاذِجَ مُخْتَارَةٍ)

The semiotics of wine in the poetry of Abu Nawas
(Interpretive reading in selected models)

بقلم الدكتورة

إلهام أَحمَد الغامدِيّ

أستاذ الأدب والنقد المساعد قسم اللُّغة العربيَّة-كُليَّةُ العُلُوم والآداب
بخميس مشيط ـ جامعةُ المَلِك خالد ـ المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار مارس ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

سِيمْيَائِيَّةُ الخَمْرِ في شِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ (قِرَاءَةٌ تَأْوِيلِيَّةٌ في نَمَاذِجَ مُخْتَارَةٍ)

إلهام أحمد الغامدي

قِسْمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ-كُلِّيَّةُ العُلُومِ والآدَابِ بِخَمِيس مشيط ـ جَامِعَةُ المَلِك خَالِد ـ السعودية

البريد الإلكتروني : elhamahmed@yahoo.com

الملخص

تسعَى هذِهِ الدِّرَاسَةُ نَحْوَ قِرَاءَةٍ سيميائيَّةٍ لخمريّاتِ أبي نُوَاسٍ، بقِرَاءَةِ دالّ الخمر في المجلَّدِ الثَّالثِ الذي أفرَدَهُ قاغنر؛ مستفيدةً من مُعْطَيَاتِ المَنهَجين السّيميائيّ والإنشَائِيِّ ؛ بما أرْسَاهُ جيرار جينيت، ودي سوسير، وبيرس وإيكو، مِنْ مَفَاهِيمِ السِّيمْيَائِيَّةِ التَّأْوِيلِيَّةِ؛ محاولَةً مَلءَ بَياض هذا النَّصِّ المُغري؛ من خلال قراءةٍ وتَفكِيكِيَّةٍ، دون الوقوع في فخّ الوقوع في التّنظير.

وقدِ سعتِ الدِّرَاسَةُ نحوَ الوصولِ إلى مجموعةٍ منَ النّتائج؛ عبر مجموعةٍ من التّساؤلاتِ منها: لِمَ جاءت عناوين الخَمريَّاتِ صَادِمَةً للمُتَلَقّي؟ كيف قامت خمريَّاتُهُ عَلَى تقنيتي: المَحو والإثبات؟ وماهيَّةُ المَحو والإثباتِ؟ ولِم سَنَّها؟ وما كيفيَّتُهُ في ذلكَ؟ وما مرادهُ من هذا التَّغيير ؟ وما سِرُّ تفرُّدِهِ عَنِ الشُّعرَاءِ السَّابِقِينَ، وتَمَرُّدِهِ عَلَى بنيةِ القصيدَةِ الموروثَةِ؟

واحتملتِ القراءَةُ أن يكونَ الاكتئابُ أقربَ للتّصوُّرِ فيما يخصُّ عُقدَهُ، وأمراضَهُ النّفسيَّةَ التي بثّ فيها همومهُ الذّاتيَّةَ من خلالِ عتباتِ خمريّاتِهِ.

كَما سَعتِ القراءَةُ إلى تأويلِ عَتَباتِ الخِطابِ الخَمْريّ النُّوَاسِيِّ، فوَجَدتْهُ خطابَ مُجُونٍ ولَهْوٍ في بنيتِهِ السَّطحيَّةِ؛ وخِطابًا ضِدَّ كل أشكالِ المُمَارَسَاتِ السُّلطويِّةِ التي لا يتَّفِقُ معَها النُّوَاسِيُّ في بنيتِهِ العميقةِ.

الكلمات المفتاحية: الخمريَّات، السيميائيّة، التأويل، العتبات، العلامات

The semiotics of wine in the poetry of Abu Nawas (Interpretive reading in selected models)

Elham Ahmed Al-Ghamdi
Department of Arabic Language - College of Sciences and Arts, Khamis Mushait King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: elhamahmed@yahoo.com

Abstract

This study seeks towards a semiotic reading of Abu Nawas wines, by reading the signifier of wine in the third volume devoted by Wagner. Taking advantage of the data of the semiotic and structural approaches; With the concepts of hermeneutic semiotics established by Gérard Genette, de Saussure, Peirce and Eco. Trying to fill the whiteness of this tempting text; Through reading and deconstruction, without falling into the trap of falling into theorizing.

The study sought to reach a set of results: Through a set of questions, including: Why did the titles of wines shock the recipient? How were his wines based on the two techniques: erasure and proof? What is erasure and proof? Why did he make it? How is he doing that? What is the meaning of this change? What is the secret of his uniqueness from previous poets, and his rebellion against the inherited structure of the poem?

The reading suggested that depression might be closer to imagination regarding his complex and psychological illnesses, in which he transmitted his personal concerns through the thresholds of his wines.

The reading also sought to interpret the thresholds of Khamri's penetrating speech, and found it to be a promiscuous and amusing speech in its superficial structure. And a speech against all forms of authoritarian practices, which Al-Nawasi does not agree with in its deep structure.

Keywords: alcoholism, semiotics, interpretation, thresholds, signs.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ:

يَظَلُّ الهدَفُ الأوّلُ مِن مُقارَبَةِ النُّصُوصِ الشِّعريَّةِ، لدَى المُتَلَقِّي المُسْتَقِلّ، سَبْرَ أَعْماقِهِ الدَّاخليّةِ، وعَلَاقاتِهِ المُتشَابهةِ والمُتَباينَةِ؛ سعيًا نحوَ كَشفِ تقنياتِهِ العامَّةِ والخاصَّةِ التي تُعِينُ المُتَلَقِّينَ في سَبيلِهم نَحوَ رُؤيَةٍ كُلِّيَّةٍ للنّصّ؛ لذَا يأتِي دورُ القِرَاءَةِ التّأْوِيلِيَّةِ السّاعيَةِ لكَشفِ المَستُورِ، وَإظهارِ الخَفِيّ، وفَضْحِ المَسكُوتِ عنهُ؛ لكَونهِ مُسْتَقِلّا في قِراءَتِهِ نصًّا وَاحِدًا تَعَدَّدَتْ قِراءَاتُهُ، ومَازَالَ في حَاجَةٍ إلى قِراءَاتٍ مُتعدِّدَةٍ.

ومِنَ المَعلُومِ أنَّ السِّيمْيَائِيَّةَ التَأْوِيلِيَّةَ تَسعَى نَحوَ البنيَةِ العَمِيقَةِ للنُّصُوصِ الكَامِنَةِ في أَعْماقِها البَعِيدَةِ ؛ لأَنَّ مَعنَاهَا السَّطْحِيَّ لا يَرْوِي غُلَّتَها في اِنكِفائِهَا عَلَى التَّأْوِيلِ والتَّأْوِيلِ المُفْرِطِ، أَحْيانًا؛ بتَعبير إمبرتو إيكُو.

ومِنْ ثَمَّ؛ فَقَدِ اِعتَمدَتْ آلِيَّاتُ التَّأْوِيلِ السِّيمْيَائِيَّةُ عَلَى جَوانبَ مُختلفَةٍ في النَّصِّ؛ لكونهِ مَجمُوعَةً مُتعدِّدَةً مِنَ العَلَاماتِ المُتَناسِلَةِ التي تُثِيرُ قَارِئَها المُسْتَقِلّ لتَأْوِيلِهَا، وكشْفِها، بِسَعْيِهِ الدَّؤُوبِ في الحَفْرِ وَرَاءَ الدَّلَالاتِ المَكنُونَةِ والمُخْتَبَئَةِ في أَعْمَاقِ النَّصِّ.

ومن هُنَا، تَسْعَى هذِهِ الدِّراسَةُ نَحْوَ مُقَارَبَةِ العَتَبَاتِ النَّصِّيَّةِ لنُصُوصِ الخَمريَّاتِ لَدَى أبي نُوَاسٍ(الحسن بن هانئ ت ١٩٨هـ)، وقِرَاءَة دالِّ الخَمْرِ في المُجلَّدِ الثَّالثِ الذي أَفردَهُ المُستَشْرِقُ الأَلمَانِيُّ إيڤَالد فَاغنَر لِخَمْرِيَّاتِهِ في تَحقِيقِهِ دِيوَانَهُ؛ بِوَصْفِهِ عَلَامَةً، مُسْتَأْنِسَةً، أَيضًا، بِمُعْطَيَاتِ المَنهَجِ الإنشَائِيِّ التي أَرسَاها النّاقدُ الفرنسِيّ جيرار جينيت، بالتّعاضد مع آلِيّاتِ التأويلِ السِّيمْيَائِيَّة؛ فيمَا أَرْسَاهُ السّويسريّ المُؤسّس فرديناند دي سوسير، والفيلَسُوفُ الأَمْرِيكِيّ شارل سندرس بيرس فَضْلًا عَن آلِيَّاتِ الفِيلسُوفِ والرِّوَائِيِّ والنَّاقدِ

الإيطاليّ (إمبرتو إيكو) مِنْ مَفَاهِيمِ السِّيمْيَائِيَّةِ التَأْوِيلِيَّةِ؛ اِنْطِلَاقًا مِنْ أنَّ النَّصَّ آلَةٌ كَسُولٌ، وعلَى القَارِئِ المُسْتَقِلِّ أَنْ يَسعَى سَعْيًا دَؤُوبًا نَحْوَ تَنشِيطِها، بواسطَةِ قِرَاءَةِ الدّوالِّ المُختَلِفةِ؛ إلَى أَنْ يَصِلَ إلى مَلءِ بَيَاضِ هذا النَّصِّ وتَفكِيكِهِ.

ومِنْ ثمَّ؛ تَتَّجِهُ الباحِثَةُ نَحْوَ التَأْوِيلِيَّة؛ بِصُورتِهَا المُضْمَرةِ؛ أَي: ما يَكْمنُ وَراءَ بنيةِ النَّصِّ مِن مَعَانٍ ومَدلُولاتٍ قد تكونُ أكثرَ عُمقًا، ولو قَلِيلًا، مِمَّا سبَقَ كَشفُهُ مِن قبلُ.

وبِناءً عَلَى ما أشَارَ إليهِ إيكو مِن فِكْرةِ البيَاضِ النَّصِّيّ الذي يَترُكُهُ المُبدِعُ، عادَةً، تارِكًا وراءَهُ مدلُولَاتٍ قَصْديَّة دَاخلَهُ؛ فإنَّ هَدَفَنا في التَّأويلِ السِّيميائيّ لا يَقتَصِرُ عَلَى الانشِغَالِ بالحقَائق، بل بالبَحْثِ وراءَ المَرجعيَّاتِ، والسَّعْي نَحوَ تَشكيلِ مُتعَةِ تَلَقٍّ من خِلَالِ الكَشفِ عَنْ أَبعَادٍ جَماليَّةٍ ومَضمُونيَّةٍ مُتَجدِّدَةٍ.

- **الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ**:

أَبُو نُوَاسٍ مِنَ الشُّعراءِ الذينَ كثُرتْ حولَهم الدِّراساتُ الأكاديميَّةُ والنَّقديَّةُ بشَكلٍ لافِتٍ؛ لمَا يُمَثِّلُهُ من مَنزعٍ تَجْديديٍّ، وبوصفِهِ مَرْحلَةً مُهمَّةً مِنْ مَراحلِ الشِّعْريَّةِ العَرَبيَّةِ، ولكنّي لمْ أقِفْ عَلَى دِراساتٍ سِيمْيَائِيَّةٍ حولَ الخَمرِ، وإنْ جاءَتْ بعضُ الدِّرَاساتِ المُتقاطِعَةِ مَعَهَا؛ مِنهَا:

- دَلَالاتُ الظَّلِ والخَمرِ في شِعرِ أبي نُوَاسٍ، علي يونس، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٩٧م، وهُو كُتيّبٌ لا يتَجاوزُ بِضعًا وثَلَاثينَ صَفْحةً، اقتصرَ فيهِ المؤلفُ عَلَى جَمْعِ بَعضِ الشَّوَاهدِ الشِّعريَّةِ في الخَمْرِ والظَّلِ معَ التَّعلِيقاتِ التَّذَوقيَّةِ السَّريعَةِ، التي تَغيبُ في كَثيرٍ مِنَ الأَحيانِ نَظرًا لِصغرِ حَجمِ الكِتابِ.

- القبيحُ الجَميلُ في خَمرِيَّاتِ أبي نُوَاسٍ، لمياء تَقْتَق بن يحيى، حوليّات الجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ، جامِعَةُ منُّوبة - كليَّة الآدَابِ والفُنُونِ والإنسانيَّاتِ، العَدَد الرَّابعُ والثَّلاثُون، ١٩٩٩م، ص ص ٢١٥-٢٣٨.

اقتصرتْ فيهِ الباحِثَةُ عَلَى تعقُّبِ مَدلُولاتِ لفْظَيْ: قبيحٍ، وجَميلٍ في خَمْرِيَّاتِهِ.

- خمريَّاتُ أبي نُوَاسٍ ومُسْلِم بن الوليدِ: دِرَاسةٌ أُسْلوبيَّةٌ، سُعَاد يُوسُف محمد الحَجاجرة، رِسالة ماجستير، فلسطين، جامِعَة الخَليلِ، ٢٠١٢م.
- ركّزَتِ الباحِثَةُ في رِسَالتِهَا عَلَى دِرَاسَةِ بَعْضِ الظَّوَاهِرِ الأُسْلُوبيَّةِ؛ كالتَّكْرارِ، والانزياحِ، والالتفاتِ وغيرِها فيما بينَ الشّاعِرَينِ في خَمْرِيَّاتِهما.
- ظاهِرَةُ الأَلْوَانِ في خَمْرِيَّاتِ أبي نُوَاسٍ : مَصَادِرُها ودَلالَاتُها، عيسى قُويدر العبَّاديّ، الأردن، مِجَلَّةُ جامِعَةِ الحُسَين بن طَلَال للبُحُوثِ، المُجلَّد الأوَّل، العَدَد الأوَّل،٢٠١٦م.
- تتبّعَ فيهِ الباحثُ دَلالاتِ الأَلْوانِ: الأَصْفَرِ، والأَبْيَضِ، والأَحْمَرِ في خَمْرِيَّاتِهِ.
- أضْربُ الرَّفضِ في خمريَّاتِ أبي نُوَاسٍ، عبدالفتاح صالح نافع، الأردن، مِجَلَّةُ إربد للبُحُوثِ والدِّرَاسَات، جامِعَةُ إربد، المُجلَّد الأوَّل، العدد الأول،١٩٩٨م، ص ص ٤٤-٦٨.
- ركّزَ الباحِثُ فيهِ عَلَى دِراسَةِ ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ مِنَ الرَّفْضِ؛ هيَ الأَدَبِيُّ والاجتِمَاعِيُّ والدّينِيُّ.

وقَدْ قَسَّمْتُ بَحثِي إِلَى مِحْورينَ أَسَاسَينِ؛ يَتفَرَّعُ مِن كُلٍّ منهُما مَحَاورُ فَرْعِيَّةٌ، تَتَعاضَدُ فيما بينَهَا، وتَتَصَاعَدُ تَدْرِيجيًّا؛ لتَكتَمِلَ فِكرَةُ كُلِّ مِحْورٍ، وينتهي التَّناغمُ بينهما إِلَى إِيضَاحِ ما سَعَتْ إِليهِ الدِّرَاسَةُ من طرْحٍ؛ لذا جاءتِ خُطَّتُهَا كالآتِي:

-**المقدّمةُ:** أخصّصُها لأسباب اختيارِ الموضوعِ، ومنهجهِ، والدّراساتِ السابقةِ، وخُطَّةِ البحثِ.

- **التَّمْهيدُ:** أَتَناولُ فيهِ تَوضيحَ المَفاهِيمِ التِي تَعْتَمِدُ عليها الدّراسةُ؛ كالعَتَباتِ، والعَلَامَاتِ، والتّأْويلِ السِّيميائيّ، والخَمْريَّاتِ.

١- **المِحورُ الأَوَّلُ بعُنوَانِ: عَتباتُ الخَمريَّاتِ،** يشْمَلُ مَجْمُوعَةَ مَحَاورَ فَرْعِيَّةٍ؛ هيَ: تَحوُّلَاتُ العُنْوَانِ بين المَحْوِ والإثباتِ، والإفْرَاطُ في العَناوِينِ الخَمْرِيَّةِ، وعَتَبَةُ الخَاتِمَةِ بَينَ المَحْوِ والاستِبدَالِ.

المِحورُ الثَّانِي بعُنوَانِ: تأويلاتِ الخَمْرِ بَينَ ثَقافَةِ العَصْرِ ونُزُوعِ الذّاتِ، يشْمَلُ مَجْمُوعَةَ مَحَاورَ فَرْعِيَّةٍ؛ هيَ: الخَمْرِيَّاتُ بين مُجُونِ الذّاتِ وثقافةِ الزّندقةِ، وخطابُ الخمريَّاتِ في مواجهةِ السُّلطَةِ، وخِطَابُ الاكْتِئَابِ بَينَ الخَمْرِ والنِّسَاءِ، وخِطَابُ المُجُونِ، وخِطَابُ الثَّورَةِ، والعَلَامَةُ اللُّغَويَّةُ فِي الخَمْرِيّاتِ.

التَّمْهِيدُ:

يَرتكزُ هذا البَحثُ عَلَى ثَلَاثِ مَفَاهِيمَ رَئِيسَةٍ هِيَ العَتَبَاتُ، والعَلَامَاتُ، والتَّأْوِيلُ السِّيميائيُّ في خَمْرِيَّاتِ أَبِي نُوَاسٍ، ومعَ أَنَّها تَكادُ تكُونُ قَدِ اِستَقَرَّتْ في الدَّرْسِ النَّقْدِيِّ؛ فإنَّهُ لا مناصَّ من تَحدِيدِ مُرَادِنَا؛ مِنهَا في هذَا البَحْثِ :

- **العتبَاتُ** :

العَتَبَاتُ هيَ هَامِشُ النَّصِّ، وحَوافُّهُ، ومُتَوَازِيَاتُهُ، أو نَصُّهُ المُوازِي، ومُتَعالِيَاتُهُ النَّصِّيَّةُ، الخَارِجِيَّةُ التي تَكشِفُ عنهُ، وتَدُلُّ عَلَيهِ، وقَدْ أَولَتِ الدِّرَاسَاتُ السِّيمْيَائِيَّةُ الحَدِيثَةُ اهتِمامًا بهذِهِ العتَبَاتِ، أو النَّصِّ المُوَازِي؛ (Seuils) باصطلاحِ چيرَار چنيت (GérardGenette) ومَعَ أَنَّنا نَجِدُ إِنكَارًا واضِحًا لدَى بَعضِ النُّقَّادِ أَنَّ يكُونَ القُدماءُ مِنَ اليُونانِيِّينَ والعَرَبِ قَدْ تَوقَّفوا أَمامَ هَذهِ العَتَبَاتِ، يرَى آخَرُونَ مِنهُم، أَيضًا، أَنَّ لَهُم جُهُودًا، لَا تُجْحدُ[1].

ومِن هَؤُلاءِ النُّقَّادِ ما نَراهُ لَدَى محمد سيد عبدالعال الذي يَرى أَنَّ " دِراسَةُ العَتَبَاتِ لَيسَتْ بالغَرِيبَةِ عَلَى المُثَقَّفِ العَرَبِيِّ، بلْ عَلَى الثَّقافَةِ العَربيَّةِ في عُصُورِها التَّلِيدَةِ، ولَكِنَّها صَارَتْ أَكثَرَ مَنهجِيّةً وتَنظِيمًا، بَعدَما كَتَبَ چيرار چينيت كِتَابَيهِ: أَطْرَاس، وعَتَبَات، وغَدَتْ دِرَاستُها مَدَاخِلَ مُهمَّةً جِدًّا لفَهمِ النَّصِّ، وانفِتاحِ عَوالِمِهِ القِرائِيَّةِ دَاخِلِيًّا وخَارِجيًّا؛ فليستِ العَتَبَاتُ، كمَا يتَوهَّمُ بَعضُ النَّاسِ قِرَاءَةَ الكتابِ أو التَّعبيرَ عَنهُ عَلَى طَرِيقةِ:" كيفَ تَتَحَدَّثُ عن كِتَابٍ لَمْ تَقْرأْهُ" بَلْ هِيَ عَتَباتٌ للوُلُوجِ والتَّعَمُّقِ في كلِّ تفاصيلِ النَّصِّ"[2].

١- يُرَاجَعُ ، حمداوي، جميل، شعرية النص الموازي(عتبات النص الأدبي)، الرباط، منشورت المعارف، ٢٠١٤م، ٧-١٤.

٢- عبدالعال، محمد سيد علي، النص الذي وجد ظله(عتبات النص السّردي الحديث)، مصر، طنطا، النابغة للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠م،٥.

ومِنْ ثَمَّ؛ فَالعَتَباتُ مَدَاخِلُ صَالِحَةٌ لأَنْ يدلفَ مِنهَا المُتَلَقِّي إلى عَتَباتٍ مُتتابعَةٍ، وأبوابٍ مُتَجدّدَةٍ يطرُقُها النّصُّ؛ ليدلفَ بالمُتَلَقِّي إلى عَتَماتِهِ ومُضمراتِهِ؛ إذ يَغدُو النّصُّ أكثرَ رَحَابةً، واتِّسَاعًا وتَترُكُ للمُتَلَقِّي مَساحاتٍ مُتَجدِّدَةً يَفْتحُها أنَّى شَاءَ(١).

نَعَمْ، لَقَدْ صَارَ لقِرَاءَة العَتَبَاتِ فُتُوحاتُها السِّيمْيَائِيَّة في قِرَاءَة النُّصُوصِ الأَدَبيَّةِ؛ بوصفِها الأيقُوناتِ الدَّالّةِ عَلَى مُكوِّناتِ النَّصِّ وغاياتِهِ؛ كالعَناوِينِ، والتَّناصِّ، والنُّصُوصِ المُتعَالقَةِ، والعَلَاماتِ الأُخرَى التي تَرحلُ بنا في مَسَارَاتِ النَّصِّ(٢).

العَلَامَاتُ: العَلَامَةُ السِّيمْيَائِيَّة؛ كما وَفقَ روبرت دي بوجراند De Beaugrande Robert هيَ كُلُّ دَالٍّ مَكتُوبٍ أَو مَنطُوقٍ، فَضْلًا عنِ الإِشارَاتِ الأُخْرى؛ لكَونِ النَّصِّ؛ فيما يرَاهُ "يتألَّفُ من عناصرَ ليسَ لهَا ما للجُمْلَةِ مِنَ الشُّرُوطِ؛ مَثَلًا عَلَاماتِ الطُّرُق والإِعلَانِ والبَرقيَّاتِ ونَحوِهَا"(٣).

- **التَّأْويلُ السِّيميائي**:

يَنْظرُ التّأْويلُ السِّيميائيُّ للنَّصّ عَلَى أنَّهُ لمْ يَعُدْ بِنيةً مُحَايثةً، بَلْ هُو عَلَامةٌ إنْسانيَّةٌ مَشحونةٌ بالتَّجَارب الحَياتيَّةِ المُدْغَمَةِ في العَالمِ، والمُنغَرِسَةِ في كينُونَتِنَا؛ لِذَا تَصِيرُ هذهِ البنيةُ عَصِيَّةً يَجبُ اِستِمطارُها لتَكشِفَ عَمَّا بها من حَقائقَ مُحتملَةٍ عن طَريقِ التَّأويلِ السِّيميَائيّ؛ لِكَونِهِ يَمْلِكُ عَلَاقاتٍ مُتَفَاوِتةً(٤)؛ يلزَمُها

١- يُرَاجَعُ، عبدالعال، محمد سيد علي، النص الذي وجد ظله ،٥ -٦.

٢- يُرَاجَعُ، السّابق،٦ -٧.

٣- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة،١٩٩٨م،٩٧.

٤- يُرَاجَعُ، محمود، عبدالرحمن عبدالسلام، التأويل السيميائي للشعر(أمل دنقل من العلامة إلى التاريخ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٢١م،٣٣.

حواريَّةٌ تَأْوِيلِيَّةٌ بين الذَّاتِ المُتَلَقِّيةِ، وغَيريَّةِ النَّصِّ الشِّعريّ؛ لتَجاوُزِ البِنْيَةِ اللِّسَانيَّةِ لهُ لفتحِ آفاقِ الدَّلَالةِ[١]، والنَّفَاذِ إلى أَعْمَاقِ النَّصِّ الشِّعْريِّ، دُونَ اِستِسلَامٍ لِغَوايَاتِهِ الشَّكليَّة" وَفْقَ القَوَاعِدِ والمَرجعيَّاتِ المُؤَطِّرةِ لبنيتَي المَسَاقِ الدَّاخِلِيِّ والسِّيَاق الخَارِجِيّ في علاقتِهما بالذَّاتِ المُؤَوِّلَةِ، وبالعالمِ في سِياقٍ نِسْبِيٍّ، لَيسَ فيه سِمَةُ اليَقِينِ"[٢].

- **الخَمْرِيَّاتُ**:

الخَمْرُ مَوجُودَةٌ منذُ القِدَمِ؛ فَقَدْ قِيلَ: إنَّ أَوَّلَ مَنْ عَصَرَها هُو إِبْلِيسُ، حِينَ قَدَّمَها لقابيلَ وهابيلَ[٣]، وبدأ الاتِّجاه الخَمْرِيُّ عِندَ الشُّعَراءِ العَرَبِ مُنذُ العَصْرِ الجاهِلِيِّ، ومزَجوهُ برُوحِ الفُرُوسيَّةِ، وأَجْواءِ الحَرْبِ، والتَّغَزُّلِ بالنِّسَاءِ، وظلَّ مقرُونًا بذكرِ المَيسِرِ، ولكنّهُ تَحوَّلَ بالتَّلاقُحِ الفِكْريّ والفَنِّيّ والفلسَفِيّ بين العَرَبِ وغَيرِهم إلَى سُلوكٍ يَوميٍّ، لهُ مَجْموعةٌ منَ الطُّقُوسِ؛ إذِ ارتَفَعَ لدَى بَعْضِ الشُّعُوبِ إلَى مَرتَبةِ الإلهِ؛ فَعَبَدُوها، ومارَسُوا الطُّقُوسَ حَولَها[٤].

وكانَ لأبِي نُوَاسٍ القدَحُ المُعَلَّى في تَطويرِها، ومَزْجِهَا باللَّهْوِ، والمُجُونِ، والفُكَاهَةِ، واللَّذَّةِ المُفرِطَةِ، والمُغَامَرَاتِ، وكَثِيرٍ منَ الأَحاسِيسِ والمُمَارَسَاتِ الحَيَاتِيَّةِ حتَّى صَارَ شِعَارُهُ :الحَيَاة خَمْرٌ، والخَمْرُ حَيَاةٌ[٥].

١- يُرَاجَعُ، الحيرشي، محمد، أخلاقيات التأويل: من أنطولوجيا النَّصِّ إلى الخطاب، دار الفاصلة للنشر، طنجة المغرب،٢٠١٩م،١٩.

٢- محمود، عبدالرحمن عبدالسلام، فتنة التأويل: المتنبي من النَّصِّ إلى الخطاب، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٦م، ٦٨.

٣- يُرَاجَعُ، الكيالي، سامي، خمر وشعر، دار الرائد، حلب،١٩٦٣م،١٣.

٤- يُرَاجَعُ، الطّاهر، علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠١م، ١٤/ ٢٢٨-٢٢٩.

٥- يُرَاجَعُ، صدقي، عبدالرحمن، ألحان ألحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، ٤٠٧.

كما اتّصلَتِ الخَمريَّاتُ أكثرَ بالفَنِّ والغِناءِ والشِّعْرِ، والتَّصْويرِ، ومَجَالِسِ السَّمَرِ؛ فعُرِفتْ كتُبُ الأَشْرِبةِ، وَأَدَبِ النّدِيمِ، والدِّيَاراتِ التي يلتقِي فيها الأُمَراءُ والخُلَفاءُ والوُجَهاءُ بسِفلَةِ المُجتمعِ وصَعاليكِهِ [١].

وظلَّت شخصيّةُ أبي نُوَاسٍ مُرتبِطَةً بالخَمريَّاتِ لِمَا أَضفَاها عليهَا، وعلَى مَجَالِسِهَا ودَلالاتِها من فُيُوضَاتِ المَعَانِي التي اختصَّ بها؛ لِمَا تَميَّزَ بِهِ مِنْ لُطْفِ العِبَارةِ، ودَقيقِ الأَمارةِ، وجَميلِ العِبارةِ، وَذَكِيِّ الإشَارةِ[٢].

١- عَتبات الخَمريَّات:

لَعلّنَا فيمَا قدَّمْنَا لَهَ منْ مَفاهيمِ العَتَبَاتِ يَلزَمُنا أَنْ نَقتَفِيَ أَثرَها في خَمريّاتِ النُّوَاسِيّ للوقوفِ علَى ما يُمكِننَا تأْويلُهُ من خِلَالِ سِيميائيَّاتُهَا.

١/١- عَتبةُ العُنوان:

يَرَى "رولان بارت" أَنَّ قيمَةَ العُنوانِ تَكْمُنُ في كَونِهِ مَجْمُوعةً مِنَ الأَنْظِمةِ الدَّلاليَّةِ السِّيميولوجيَّةِ التي تبطنُ أعماقُها أنساقًا أخلاقيَّةً وأيديولوجيَّةً للنَّصِّ[٣]؛ لأنّهُ "يشكِّلُ بنيَةً إشَاريَّةً دَالَّةً تَحملُ الكثيرَ مِمَّا لايقولهُ؛ فيقولُ ما لايقولُهُ النَّصُّ من خِلَالِ استِرايجيَّتِهِ الضَّاغِطَةِ وسُلطتهِ الدَّلاليَّةِ التي تُعَدُّ انفجاريَّةً، إذا ما استفزِّتْ قِرَائيًّا"[٤].

١- يُرَاجَعُ، الشابشتي، علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ)، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، دار المدى، بيروت، ٢٠٠٨م، ١٢.

٢- يُرَاجَعُ، عباس، عبد الحليم، أبو نواس، ط٣، دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة،١٩٨٦م،٤١.

٣- يُرَاجَعُ، حمداوى، جميل، السِّيموطيقا والعَنونة، مجَلَّة عالم الفِكر، الكويت، المجلد٢٥، العدد٣، ١٩٩٧م، ٩٩.

٤- السَّعديَّة، حليمة، استراتيجيَّة العُنوان في الكتاب النقديّ القديم، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة باتنة، ٢٠٠٥م، ٢١.

ولَعَلَّ عُنوَانَ القَصِيدَةِ يَأْتِي مُراوِغًا؛ لكَونِهِ قدْ يكُونُ علَامةَ شَتاتٍ لهَا، كمَا قدْ يكُونُ علَامةً لالتئامِها، كما أنَّهُ قد يتّفقُ وأُفُقَ توقُّعِ المُتَلَقِّي، وقد يُفاجئهُ، أيضًا، بمِقْدَارِ ما يَفتحُهُ مِن آفَاقٍ للتَّخييلِ، تعترضُ مُخيّلةَ هذا المُتَلَقِّي، وتَدعُوهُ إلى إعادَةِ إنتَاجِ القَصِيدَةِ؛ بحَسَبِ ما يَتمكَّنُ مِن كشفِ المُخبَّأ، وتعريةِ المستُورِ، وقِرَاءَةِ المُضْمَرَاتِ؛ لأنَّ العُنوَانَ بمثابَةِ العَلَامةِ المُختزلَةِ المُفتِّقةِ للدّلالاتِ المتناسلةِ، والمُستفزَّةِ لأَبنيَتِها المُستَترةِ، التي تُحَاولُ إبرَازَها عبرَ مُحَاوَلَةِ الوَصْلِ بينَ فَجَواتِ القَصِيدةِ التي أحدثَها عُنوَانُها[١].

وإذا ما اتَّفقْنا حَولَ كَونِ عُنوَانِ القَصِيدةِ مِفتاحَها الذَّهبيَّ؛ بوَصْفِهِ إشَارةَ المُبدِعِ الأُولَى، وبُؤرةَ القَصِيدَةِ ونَوَاتَها[٢]، وبمَثَابةِ الرَّأسِ للجَسَدِ[٣] فإنَّ مَطْلَعَ القَصِيدَةِ العَربيَّةَ القديمَ أَقوَى اتِّصالًا بقصِيدَةِ الشَّاعِرِ مِنَ العَنَاوِينِ في القَصَائِدِ الحديثَةِ التي تُوشِكُ أنْ تَكونَ عَناوينَ تَطفُّليَّةً، أَو طُفيليَّةً؛ لكَونِها تَأْتِي قَسْرًا، دُونَ دَعْوَةٍ؛ لأنَّها مُتَوَالِدةٌ عن طَرِيقِ الجُهْدِ العَقلِيّ، بعْدَ أنْ يَثُوبَ الشُّعرَاءُ إلى أَنفُسِهِم، ويُفرِغُوا انفعالاتِهِم وحوَّلُوها إلى نصٍّ متكاملٍ، بعدَ النَّظرِ إليهَا وتأمُّلِها لاستِنبَاطِ العَناوِينِ المُناسبَةِ لها[٤].

وقد التفتَ النُّقَّادُ المُحدَثُونَ بهَذِهِ المَطَالِعِ والمُقَدِّماتِ، وأَفردُوا لَهَا الدِّراساتِ المُستَقِلّةَ بِها؛ إيمانًا منهم بدَورِها الرّئيسِ في حملِها شيفرةَ النَّصِّ

١- يُرَاجَعُ، عبدالعال، محمد سيد علي ، بلاغة الحجاج في الشعر القديم(حجاج الشّاعر شفيعًا ومُحرِّضًا)، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٤م،٢٥-٢٦.

٢- يُرَاجَعُ، عيسى، فوزي، دراسات نقديَّة في ديوانِ بَوح البَوادي للشَّاعرِ عبد العزيز سُعُود البابطين، مؤسسة البابطين، الكويت، ١٩٩٦م،١٢٣.

٣- يُرَاجَعُ، حمداويّ جميل، السِّيموطيقا والعَنونَة، ١٠٧.

٤- يُرَاجَعُ، الغذَّامي، عبد الله محمَّد، ثقافة الأسئلة (مقالاتٌ في النَّقد والنَّظريّة)، ط٢، دار سُعاد الصبّاح، القَاهرة ، ١٩٩٣م،٥٠.

الأساسيَّةِ، ورسالتهِ الكُبرَى التي أُبْدِعَ مِن أَجلِها[١]، ولأنَّها تعكِسُ ثقافةَ الشّاعِرِ، وقَضيَّتَهُ، وإحْسَاسَهُ بالكونِ، وعَلاقَتَهُ بالعالمِ من حَولِهِ[٢]، ولكَونِها تعكسُ البيئَةَ الحَضَاريَّةَ للقَصيدَةِ[٣]

وقدِ انتهَى مُحمَّد أبو موسى إلَى أنَّ عبدَ القاهرِ الجُرجانيَّ رَبطَ دَلالةَ المَطلَعِ بالقَصِيدَةِ، حينَ افترَضَ أنَّ النَّظمَ يَشْمَلُ نَظمَ القَصيدةِ، بلِ الدّيوانَ كلَّهُ أَحيانًا[٤].

ويُمكِنُ للنَّاقدِ أَنْ يَتتَبَّعَ جُغرَافيَا القَصَائدِ القديمَةِ بمُحَاوَلَةِ اكتِشَافِ كُلِّ العَناوينِ المحتملةِ والمُمكنةِ لها[٥]؛ لذَا لمْ يكُنِ الشُّعَرَاءُ العَرَبُ القُدامَى في حاجَةٍ إلى عَنونَةِ قَصَائدِهم؛ فَعَناوينُها تُولَدُ مَعهَا في مَطَالعِهَا وقَوافِيها، ومعَ هذَا؛ فَلَيسَ كُلُّ ذَلكَ كَافِيًا ما لمْ يكُنْ للمُتَلَقِّي خِبْراتٌ سَابِقَةٌ بها[٦]، ولَعلَّهُم وجَدُوا وجَدُوا في ذلِكَ حلًّا في أنْ تكُونَ المَطَالعُ عَناوينَ أو عوَضًا عنها؛ لِمَا يُحَقِّقُهُ

١- يُرَاجَعُ، حفني، عبدالحليم، مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ١٧وما بعدها.

٢- يُرَاجَعُ، عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م، ١٧٩.

٣- يُرَاجَعُ، عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي،ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م، ١٤.

٤- يُرَاجَعُ، أبوموسى، مُحمَّد مُحمَّد، مَدخَل إلى كِتابيْ عبد القاهر الجرجاني، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م،٣٥٤.

٥- يُرَاجَعُ، بنيس، محمَّد ، الشِّعر العربيّ الحديث(بنياته، وإبدالاته التَّقليديَّة)،الدَّار البيضاء، دار توبقال للنَّشر والتَّوزيع، ١٩٨٩م،١٠٣.

٦- يُرَاجَعُ السّماعيل، عبدالرَّحمن إسماعيل، العنوان في القصيدة العربيَّة، مجلَّة جامعة الملك سُعود، كليَّة الآداب، مجلد٨، ١٤١٦ه/١٩٩٦م،٣٨.

العُنْوَانُ مِن اِنسِجَامٍ، وَرَبطٍ، ووَصْلٍ، وتَرابُطٍ للقَصِيدَةِ[١] وبالمَنطِقِ نَفسِهِ يُمكِنُ التَّعويلُ عَلَى سِيَاقاتِهَا؛ لتَدعَمَ مَطَالِعَها، وتُسهِمَ في مَعرفةِ كونِهَا الشِّعريِّ، وفكّ أَسْرَارِهِ، وفَضِّ مَغالِيقِهِ[٢].

١/١/١- تَحوُّلَاتُ العُنْوَانِ بين المَحْوِ والإثبات:

مَعَ كُلِّ ما بذَلَهُ المنهجُ البنيويُّ من محاولاتٍ لفهْمِ النَّصِّ من داخلِهِ؛ فإنَّ السّيميائيّةَ؛ بوصفها وليدتَهُ تجاوَزَتْ هذا الانغِلَاقَ، وربطتهُ بسياقاتهِ الحافَّة، وأولتِ العُنوانَ أهميَّةً قُصْوى، وجَعلَتهُ عَلَامةَ القَصِيدةِ، وأيقونتها الأساسَ، وهُو ما فَطنَ إليه قُدماؤُنا حينَ سَمَّوا بَعضَ القَصَائدِ القديمةِ[٣]، ونَعتُوها بنعُوتِ وقَوَافٍ، ومُناسَباتٍ، وإنْ لمْ يَسعَوا للتّنظِيرِ المُتَكَامِلِ؛ شَأنُهم في لَمَحَاتِهِم النَّاقِدَةِ.

ظلّتِ المَطَالِعُ الطَّلَليَّةُ عُنوانًا تقليديًّا لكَثيرٍ مِنَ القَصَائدِ العَربيَّةِ القَدِيمَةِ، مُنذُ العَصْرِ الجاهليِّ وعَصَبَها الذي اِعتادَ الشُّعَراءُ عَلَى نَصبهِ عَلَامةً دَالَّةً لِقَصَائدِهم، وإنْ طَالَتْ هَذهِ المَطَالِعُ نِسْبيًّا[٤]؛ لتَصِيرَ، في النِّهَايَةِ، مَدخلًا يدلفُ منهُ الشَّاعرُ إلى مَتنِ قَصِيدتِهِ، وُصُولًا للخَاتِمةِ التي هِيَ عَتَبَةُ النِّهَايةِ.

ولكنَّنَا نَجدُ أبا نُوَاسٍ ينتقلُ بعنوانهِ منَ الدَّلالاتِ الطَّلَليَّةِ إلى الخَمريَّةِ؛ فَقَدِ استبدَلَ بِها المُقدِّمةَ الخمريَّةَ، بلْ أَخَذَ يُنَادِي عَلَانيةً بالابتِعادِ عنْ هذهِ العَلَاماتِ

١- يُرَاجَعُ، عبدالنَّاصر حسن، سيموطيقا العنوان في شعر عبدالوهاب البياتي، دار النَّهضة العربيَّة، القاهرة، ٢٠٠٢م،١٣-١٤.

٢- يُرَاجَعُ، العجلان، سامي بن عبدالعزيز ، إغواء العتبة في القصيدة وأسئلة النقد، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٥م،٤٥.

٣- يُرَاجَعُ، عبدالعال، محمد سيد علي ، بلاغة الحجاج في الشعر القديم،٢٧.

٤- يُرَاجَعُ، إسماعيل، عز الدين، في الأدب العباسي الرؤية والفن، في الأدب العباسي الرؤية والفن، دار النهضة العربية، بيروت١٩٧٥، ٤١١.

الطَّلليَّةِ؛ لكَونِها باليةً مستهلكةً، داعيًا إلى التّحوُّلِ إلى علامةٍ جديدةٍ تحلّ محلّها؛ هي بمثابةِ العُنوانِ للقَصيدةِ، وللمرحلةِ بكلّ تغيُّراتها في الشِّعْرِ العربيِّ، بما يعكسُ روحًا عصريَّةً جديدَةً وتَميُّزًا عما أَلفاهُ المتلقُّونَ:

صِفَةُ الطُّلُولِ بَلاغَةُ الْفَدْمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لابْنَةِ الْكَرْمِ(١)

فالعُنوانُ، هُنا، صَادمٌ للمُتَلَقِّي؛ لأنَّه يقُومُ علَى المَحوِ والإثباتِ، مَحوِ وَصفِ الطّلل؛ لكَونهِ بلاغةً الحمقَى البلداءِ الذين حُرِمُوا الجَمَالَ المُعاصِرِ لِصَالِحِ قُدماءَ ماتُوا، وانتهى عَصرُهم بتقاليدِهِ، ولَمْ يَعُدْ منَ اللَّائقِ مُحَاكَاتُهم، والقُدْرَةُ علَى التَّعبيرِ عَنْها مِثلَهم عيًّا وبلَادةً؛ وفي المُقابلِ يُثبتُ بَلَاغَةً جَدِيدةً تَتَفنَّنُ في وَصْفِ الخَمْرِ.

فما ماهيَّةُ عمليَّةِ المَحوِ والإثباتِ؟ ولِماذَا؟ وما كيفيَّةُ ذلكَ؟ وهل أرادَ أبُو نُوَاسٍ التَّغييرَ لمجرَّدِ التَّغييرِ، أمْ ثمَّةَ سِياقاتٌ دَفَعتْهُ إلَى هَذا التَّغْيير؟ وبمعنًى آخَرَ: كيفَ استَطَاعَ التَّحرُّرَ مِن سُلْطَةِ القصيدةِ القديمةِ وتقاليدِها؟ ما السِّرُّ في تفرُّدِه عنِ الشُّعراءِ السَّابقِينَ، وتَمَرُّدِهِ علَى بنيةِ القصيدَةِ العربيَّةِ؟ هذا ما نُحاولُ الإجابةَ عليهِ.

١/١/٢- الإفْرَاطُ في العنَاوِينِ الخَمْرِيَّة:

مِنَ المَعرُوفِ أنَّ الشَّاعرَ قدْ يلجأُ إلى عُنوَانٍ صَادِمٍ يُناسبُ حالةً نفسيَّةً ما، ولَكِنَّ الحَالَ يتَغيَّرُ، والعَناوينُ، أيضًا، تَتَغيَّرُ، ومَعَ ذَلكَ فَمِنَ الغَريبِ أَنْ يُكرِّرَ الشَّاعرُ عُنْوَانَ قَصَائدِهِ؛ وهُو ما نَلْحظهُ في هذا العُنوَانِ الخَمْريِّ اللَّافِتِ الذي تَكَرَّرَ كَثيرًا في دِيوَانهِ؛ حتَّى نجدُ المستشرقَ الألمانيَّ إيڤالد ڤاغنر يُفرِدُ المجلَّدَ الثّالثَ من ديوانهِ مُسْتَقِلًّا للخَمريّاتِ في تحقيقِهِ إيَّاهُ.

١- أبونواس، الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكميّ، تحقيق: إيڤالد ڤاغنر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،٢٠٠٠م، ٣/٢٦٥.

وإذَا تأَمَّلْنَا في السِّيَاقِ الثَّقَافيِّ والاجتماعِيِّ للعَصْرِ العبَّاسِيّ الذي عَاشَ فيهِ النُواسِيُّ، نَكتَشِفُ مَجْمُوعَةً مِنَ التَّحَوُّلاتِ التي أَسْهَمَتْ في إِضْعَافِ النَّمَطِ الطَّلَليّ الشِّعريِّ المتّبعِ المَورُوثِ مُنذُ الجَاهليَّةِ، وهُو تَحوُّلٌ في مَجْرَى الثَّقافَةِ العَربيَّةِ كلِّها، لمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الشِّعْرِ، بلِ امتدَّ لِيَشْمَلَ جَوَانبَ الحَياة الاجتِماعيَّةِ والسِّيَاسيَّةِ والدِّينيَّةِ؛ بتَأْثيرِ عَوامِلَ؛ كالثَّروَةِ المُفرِطَةِ، والبَذَخِ، والتَّفاعُلِ الثَّقافيِّ النَّاتجِ عنِ الاختلاطِ بالأجناسِ المتنوّعةِ؛ مِمَّا كَانَ لهُ دورٌ بارزٌ في تَشكِيلِ ثَقافةِ هذَا المُجتَمعِ، ودَفعها نحوَ التَّجديدِ، وتبَنِّي أَفكارٍ ومفَاهيمَ جديدةٍ، تتواكبُ ورُوحَ العصرِ، وتطَوُّراتِهِ التي فرضَتْ عَلَى الشَّاعِرِ العبَّاسيِّ التَّخلِّي عَنِ الأُسلُوبِ الشِّعْرِيِّ التّقليدِيِّ، وتبنِّي أُسلُوبٍ جَدِيدٍ، يُمَيِّزُهُ عَن سَابقِيهِ[1].

وإذَا تتبَّعنَا عنَاوينَ قَصَائدِ الجُزءِ الثَّالثِ وَجَدْنَاها جَميعًا خَمريَّةً؛ مِمَّا يُؤَكِّدُ ما أَسلَفنا منْ أنَّ الخمرَ تحوَّلتْ لَديهِ مِن سلُوكٍ في الحيَاةِ إِلَى حياةٍ يَنطلقُ منها كلُّ سُلُوكٍ[2]؛ كما نرَى هذا التّكرارَ في الأُسلوبِ والرُّوحِ والإِلْحَاحِ؛ فيقُولُ في القَصِيدَةِ المائةِ والاثنتينِ والسَّبعينَ مِن خَمْرِيَّاتِهِ:

إِسْقِنِيهَا يَا نَدِيمِيَّ بِغَلَسْ لَا بِضَوْءِ الصُّبْحِ بَلْ ضَوْءِ القَبَسْ[3]

ثُمَّ يَعُودُ فَيُكَرِّرُهُ في القَصِيدَةِ المائةِ والثَّلَاثِ والسَّبعِينَ مِنْ خَمريَّاتِهِ:

إِسْقِنِيهَا يَا نَدِيمِيَّ بِغَلَسْ لَا بِضَوْءِ الصُّبْحِ بَلْ ضَوءِ القَبَسْ [4]

وقَدْ يَكْتَفِي بتَكرَارِ الشَّطْرِ الأَوَّلِ مِنَ المَطلَعِ؛ كَمَنْ يُكرِّرُ المُضَافَ في ثلاثيَّاتِهِ الرِّوَائيَّةِ علَامةً عَلَى اِستِكمَالِ النّصِّ، وَتَتَابُعِهِ، وتَمَامِهِ، وتَأكيدًا عَلَى

١- يُرَاجَعُ، عبدالعال، محمد سيد علي ، صَرَّ دُرَّ والتَّقاليدُ الشّعريَّةُ للقصيدةِ العبَّاسيَّةِ، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٤م، ٧٥-٧٦.

٢- يُرَاجَعُ، أبونواس، الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكميّ، ٢٦٥/٣.

٣- يُرَاجَعُ، السابق،١٩٧/٣.

٤- يُرَاجَعُ، السابق،١٩٨/٣.

اتِّصَالِ رِسَالَتِهِ، وإلحَاحًا في الوُصُولِ إلى تَمْرِيرِ خِطَابِهِ وبُغيَتِهِ؛ فنجدُهُ في القَصِيدةِ المائَةِ والخَمسِ والأَربَعِينَ مِنْ خَمْرِيَّاتِهِ:

اِسْقِينِي إِنْ سَقَيْتَنِي بِالكَبِيرِ مِن لَذِيذِ الشَّرَابِ لَا بِالصَّغِيرِ(١)

يَعُودُ في الخَمْرِيَّةِ التِي بَعدَها فَيُكَرِّرُ الصَّدْرَ هَكَذَا:

اِسْقِينِي إِنْ سَقَيْتَنِي بِالكَبِيرِ إِنَّ في السُّكرِ لِي تَمَامَ السُّرُورِ(٢)

وقَدْ يَكتَفِي بِكَلِمَةِ البَدْءِ إِشَارةً إلى العُنْوَانِ السَّابِقِ ورَبْطًا للنُّصُوصِ لإِيمَانِهِ بضَرُورَةِ اِستِكمَالِ الخِطَابِ، والعَودَةِ إليه، والإِلحاحِ عَلَى دَعوتِهِ؛ وإِنْ غَيَّرَ البَحرَ الشِّعريَّ؛ كمَا نراهُ يبدأُ منَ المُنسَرِحِ في خَمرِيَّتِهِ المائةِ والسَّبْعِ والثَّلَاثِينَ:

وقَهْوَةٍ كَالعَقِيقِ صَافِيَةٌ يَطِيرُ مِنْ كَأْسِهَا لَهَا شَرَرُ(٣)

فيُعيدُ لَفْظَ البَدءِ مِنَ البَسيطِ، بفَرضِيَّةِ التَّتَابُعِ الزَّمَنِيِّ الذي لَنْ يُضيرَنا خَطْؤُهُ في الاستِدْلالِ عَلَى الفِكْرةِ، في قَصِيدَتِهِ المائةِ والسِّتِّ والسِّتِّينَ مِنْ خَمرِيَّاتِهِ:

وقَهْوَةٍ عُتِّقَتْ في دِيرِ شَمَّاسِ تَفْتَرُّ فِي كَأْسِهَا عَنْ ضَوءِ مِقْبَاسِ(٤)

ولَكِنَّ الغَالِبَ عَلَى سِيمِيَاءِ العُنوَانِ هُوَ الإِثْبَاتُ والمَحْوُ؛ الإِثْباتُ لِلْخَمرِ مَهْمَا كَانَ حُكْمُها، والمَحْوُ للأَطْلَالِ مَهْمَا كَانَتْ مَكَانَتُهَا:

اِسْقِيَانِي الحَرَامَ قَبلَ الحَلَالِ ودَعَانِي مِن دَارِسِ الأَطْلَالِ(٥)

كما أَنَّهُ يُلِحُّ عَلَى هذَا الاستبدَالِ والتَّحوُّلِ، بَلْ يُمَرِّرُ رِسَالَتَهُ بالسُّخْرِيَةِ المُمضَّةِ مِنَ الطَّلَلِ لصَالِحِ الخَمرِ مَرَّةً بَعدَ مَرَّةٍ:

١- يُرَاجَعُ، أبونواس، الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكميّ ،١٧٦٨/٣.
٢- يُرَاجَعُ، السابق،١٧٦/٣.
٣- يُرَاجَعُ، السابق،١٧٠/٣.
٤- يُرَاجَعُ، السابق،١٩٢/٣.
٥- يُرَاجَعُ، السابق،٢٤٠/٣.

اِربَعْ عَلَى الطَّلَلِ الذي اِنتَسَفَتْ مِنهُ المَعَالِمُ أَنْجُمُ النَّحْسِ[1]

وتَشيعُ هذهِ السُّخريَةُ الخَفِيَّةُ بينَ عناوينِ هذا الجُزءِ الثّالثِ كلِّهِ:

بَكَيتُ وما أَبكِي عَلَى دِمْنٍ قَفْرٍ وما بِي مِنْ عِشْقٍ فَأبكي عَلَى الهَجرِ[2]

وقد تَصِلُ السُّخْرِيةُ حَدَّ الصّدَامِ العَنيفِ المَبنيِّ عَلَى المُفَاضَلَةِ الوَاضِحَةِ لصَالحِ الخَمرِ بَعيدًا عَنِ الطَّلَلِ حيثُما كَانَ:

أَحْسَنُ مِنْ مَنْزِلٍ بِذِي قَارِ مَنْزِلُ خَمَّارَةٍ بالأَنْبَارِ[3]

ثُمَّ يَعُودُ إِلَى هذهِ المُفَاضَلَةِ الوَاضِحَةِ ليُثبِتَ أَنَّهُ كُلَّمَا أَجرَاهَا جَاءَتْ لِصَالحِ الخَمرِ عَلَى حِسَابِ الطَّلَلِ:

أَحْسَنُ مِنْ موقِفٍ عَلَى طَلَلٍ كَأْسُ عُقَارٍ تَجرِي عَلَى ثَمِلِ [4]

حتَّى حينَما يُبْدِي العُدُولَ عَنِ الإلحَاحِ عَلَى الخَمْرِ لِصَالحِ الطَّلَلِ نُزُولًا عندَ رَغبَةِ الخليفَةِ الأَمينِ، الذي نَهاهُ عنها، وكَأَنَّهُ فهمَ ما تَؤولُ إليهِ هذهِ العَلَاماتُ المُستَبدَلَةُ:

أَعِرْ شِعْرَكَ الأَطْلَالَ والدِّمَنَ القَفْرَا فَقَدْ طَالَ ما أَزْرَى بِهِ نَعْتُكَ الخَمْرَا[5]

فَمِنَ الوَاضِحِ أَنَّ الالتِفاتَ لِلطَّلَلِ هُوَ مُجرَّدُ إِعارَةٍ مُستَرَدَّةٍ لِصَالحِ الخَمْرِ التي صَارَتْ مَبدَأً وشِعَارًا ومَنهَجَ حَياةٍ.

ويَتَجَلَّى هذا المَوقِفُ أَكْثَرَ حِينُ نُقارِنُ عَتَبَةَ البَدءِ بِعَتَبَةِ الخِتَامِ؛ لنُدْرِكَ طَرَائِقَهُ المُتنوِّعَةَ في فلسفةِ الإثباتِ والمَحْوِ، أَوِ التَّحَوُّلِ والاستِبدَالِ.

١- يُرَاجَعُ، أبونواس، الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكميّ ،١٩٥/٣.

٢- يُرَاجَعُ، السابق،١٦٩/٣.

٣- يُرَاجَعُ، السابق،١٦٨/٣.

٤- يُرَاجَعُ، السابق،٢٥٦/٣.

٥- يُرَاجَعُ، السابق،١٥٣/٣.

١/٢- عَتَبَةُ الخَاتِمَةِ بَينَ المَحْوِ والاستِبدَالِ:

اِهتمَّ القُدماءُ بعَتَبَةِ الخِتامِ؛ بوَصفِها آخر ما يَتبقَّى في أَذهانِ المُتَلَقِّينَ؛ لذا حثَّ النُّقَّادُ الشُّعَراءَ عَلَى شَحذِها وشَحنِها بكُلّ ما يمكنهم؛ ضَماناً لبَقاءِ رسالتِهم، وتَأكيدًا لغَرضِهم مِن قَصَائدِهم(١).

ومِن ثمَّ؛ اهتمَّتِ الدِّراساتُ السِّيمْيَائيَّة الحَدِيثةُ بالخَاتِمةِ؛ بوَصفِهَا العَتبةَ التي تَلِي عتبةَ العُنوانِ أَهميَّةً للحِوارِ الذي تُحدِثُهُ كَلِمَةُ البَدْءِ بكَلِمَةِ الخِتَامِ.

وظلَّتْ خواتيمُ النُواسيِّ لافتةً في الدَّرْسِ السِّيميَائيِّ الحَديثِ؛ إِذْ لُوحِظَ اهتمامُهُ البالِغُ بالخَواتيمِ؛ اِعتِمادًا عَلَى أنَّ كَلِمَاتِ الخَواتيم لا تَقِلُّ أَهمِيَّةً عَن كَلِمَةِ البدَايَاتِ(٢).

وإذَا كانَ العُنوانُ هُو الإشارةَ الأولَى التي يُعلِنُ فيها النُواسيُّ غَرضَهُ ورِسالتَهُ؛ فإنَّ عتبةَ الخاتِمةِ قد تَأتِي تَأْكِيدًا لرِسَالتهِ، أو مَحوًا لها، واستِبدالًا لمَا جَاءَ في عَتَبةِ البَدْءِ؛ فعتبَةُ الخِتَامِ هِيَ المنُوطُ بها الإثباتُ والمَحْوُ(٣)؛ فَحينَ تأتي عَتبةُ البَدْءِ عَلَى هذَا النَّحوِ منَ المَحْوِ:

دَعْنِي منَ الدَّارِ أَبكِيهَا وأَرثِيهَا إِذَا خَلَتْ مِنْ حَبِيبٍ كَانَ لِي فِيهَا(٤)

تأتِي عتبَةُ الخَاتمَةِ عَلَى هذا النَّحْوِ مِنَ الإِثْباتِ:

صَنَائِعُ الخَمْرِ عِنْدِي غَيرُ ضَائِعَةٍ حَتَّى يَقُومَ بها شُكْرِي فَيُجْزِيهَا(٥)

وتتَكَرَّرُ هذه العلَامةُ الفارِقةُ في خَمْرِيَّاتِهِ، مَعَ حِسٍّ حَادٍّ، ظَاهِرُهُ

١- يُرَاجَعُ، عبدالعال، محمد سيد علي، صَرَّ دُرَّ والتَّقاليدُ الشّعريَّةُ للقصيدةِ العبَّاسيَّةِ ، ٧٧.

٢- يُرَاجَعُ، عبدالرحمن، صالح الخميس، خاتمة القصيدة في القرن الرابع الهجري في العراق والشام، النادي الأدبي بالرياض، الرياض،٢٠١٤م، ٧٨.

٣- يُرَاجَعُ، عبدالعال، محمد سيد علي ، صَرَّ دُرَّ والتَّقاليدُ الشّعريَّةُ للقصيدةِ العبَّاسيَّةِ،٧٨.

٤- يُرَاجَعُ، أبو نواس، ديوانه،٣/٣٤٦.

٥- يُرَاجَعُ، السابق،٣/٣٤٧.

السُّخْرِيةُ، وباطِنُهُ الازدِرَاءُ والاستبدالُ المقصودُ عَلَى طريقتِهِ في المَحوِ والإثباتِ؛ فحينَ يَمحُو الطّلَلَ سَاخِرًا سُخْرِيةً مُوجِعةً:

قُلْ لمَنْ يبكي عَلَى طَلَلٍ دَرَسْ مَا ضَرَّ صَاحِبَكُم لَو كَانَ جَلَسْ(١)

يَختِمُها بإثباتِ الخَمْرِ عَلَى طَرِيقتِهِ في الإغرَاءِ والإغوَاءِ:

فَاشْرَبِ الخَمْرَ إِذَا باكرتَهَا مَعَ نَدَامَاكَ بِلَهْوٍ بِغَلَسْ (٢)

ولايَفتأُ يُكَرِّرُ ذَلكَ مرَّةً بَعدَ أُخرَى؛ بوَصفِها استراتيجيَّةً خَطَابيَّةً وخَطَاطَةً أُسلُوبيَّةً ومَعْرِفيَّةً، يُلِحُّ عليهَا، ويُمَرِّرُ رِسَالتَهَا:

إِنسَ رَسمَ الدِّيَارِ ثُمَّ الطُّلُولَا وَارفُضِ الرَّبعَ دَارِسًا ومُحِيلَا(٣)

فكَمَا جَاءَتْ عَتبةُ العُنوانِ بالمَحْوِ تأتِي عتبةُ الخِتامِ بالإثباتِ مَعَ تأكيدِ المَحوِ:

وتَغَنَّى لَمَّا احتَسَاها ثَلَاثًا: أُزْجُرِ العَينَ أَنْ تُبَكِّي الطُّلُولَا(٤)

هَكذَا يَنْأَى أَبُو نُوَاسٍ في عَتَبةِ البدْءِ عَنِ العَلَامةِ العَربيَّةِ المَورُوثَةِ؛ أَعنِي التَّقليديَّةَ الشِّعريَّةَ، مُستَهْجِنًا الإصرارَ عَلَى النَّهجِ الطَّلَلِيِّ المَهجُورِ، ويستنهضُ الحاجةَ إلى نَسَقٍ شِعْرِيٍّ جَدِيدٍ، يُواكبُ العَصرَ، وحَياةَ المَدَنيَّةِ الجديدَةِ، مُعْرِبًا عَنِ الضَّرُورةِ المُلحَّةِ لابتِكَارِ مَضَامِينَ شِعْرِيَّةٍ مُختلفةٍ، تتَّسِقُ مَعَ تَحَوُّلاتِ الزَّمنِ وتَطلُّعاتِ النَّاسِ:

فَعَلَامَ تَذْهَلُ عَنْ مُشَعْشَعَةٍ وَتَهِيمُ فِي طَلَلٍ وَفِي رَسْمِ
تَصِفُ الطُّلُولَ عَلَى السَّمَاعِ بِهَا أَفَذُو الْعِيَانِ كَأَنْتَ فِي الْعِلْمِ(٥)

١- يُرَاجَعُ، أبو نواس، ديوانه ،١٩٦/٣.
٢- يُرَاجَعُ، السابق،١٩٧/٣.
٣- السابق،٢٥٧/٣.
٤- السابق،٢٥٨/٣.
٥- السابق،٢٦٩/٣.

يَبرزُ أبو نُوَاس، هُنَا؛ بِوَصْفِهِ شَخْصيَّةً مَركَزيَّةً في تَحَدِّي الأُطُرِ الشِّعريَّةِ الرَّاسِخَةِ، مُوظِّفًا نُفُوذَهُ الأَدَبِيَّ لدَعوَةِ الشُّعَراءِ إلى تَجَاوُزِ عَصْرِ الأَطلَالِ، وتقاليدِها الشِّعريَّةِ المتهالكَةِ؛ لذا يطرحُ الشَّاعرُ تَسَاؤلاتٍ نقديَّةً حولَ مشروعيَّةِ وَصفِ الأَطلالِ بناءً عَلَى السَّماعِ دُونَ الرُّؤيَةِ المُباشرةِ، مُشكِّكًا في إمكانيَّةِ تجسيدِ الواقعِ من خِلَالِ تقنياتٍ تعبيريَّةٍ مُستمدَّةٍ مِنَ التَّجربَةِ الغائبَةِ، وفي المُقَابلِ يَدعُو إلى الإحلَالِ الفَوريِّ لمَواضيعَ مُعاصِرَةٍ وتَجَاربَ حسِّيَّةٍ جَدِيدَةٍ، تلائمُ الواقعَ الجديدَ، ولا يرى إلَّا الخمرَ رمزًا لهذِهِ الحيَاةِ الوَاقعيَّةِ الوليدةِ، التي تَنبضُ بالإحسَاسِ واللَّذَّةِ؛ لذَا تَظَلُّ الخَمرُ أيقونةً يُتغنَّى بهَا، ويدعُو إليها.

وكما ينطَوِي عَنَاوينُ خَمريَّاتِهِ عَلَى مَجمُوعةٍ منَ الأيقُوناتِ التي تُسْهِمُ في الوُلُوجِ إلى مَوضُوعِ الخَمرِ، تَأتِي عَتبةُ الخاتمةِ لتَشحَذَ المُتَلَقِّي للحِوَارِ مَعهُ، ويَحدثُ هذَا عَادَةً في الفَوَاتِحِ الإنْشائيَّةِ التي تَحمِلُ إغراءً، أَو تنبيهًا، أو تَحريضًا، يقذفُ بهِ إلَى فَضَاءِ النَّصّ، ولَعلَّنا نُلَاحظُ ذلكَ في تَكرَارِهِ صِيغَةَ "دَعْ" التي يَعُدُّها النَّاقدُ أحمد عبدالحيّ مَركزَ ثِقلٍ وَاضِحًا في الخَمريَّاتِ النُّوَاسيَّةِ؛ لذا أَفرَدَ لهَا دِرَاسةً مُسْتَقِلَّةً[1]؛ لكونِها تسترْعِي الانتِبَاهَ، وتَسْتَميلُ الأَسمَاعَ، والأَذهانَ؛ مِمَّا يَجعلُ المُخاطَبَ في حَالةٍ مِنَ التَّحفُّزِ، والإثارةِ، حتَّى نِهايَةِ الخِطَابِ، بلْ يَمْتدُّ أثرُها بعدَ نِهايةِ النَّصِّ.

ولقدْ لفَتَتْ ظاهِرَةُ الإثباتِ والمَحْوِ أَنْظارَ النُّقَّادِ دون تسميتِها؛ فَلكُلٍّ مَنظُورُهُ؛ بِحَسبِ جِهَازِهِ المفَاهيميّ؛ فَكمالُ أبو ديبٍ يُسَمِّيها الخَفَاءَ والتَّجلِّي، وإنْ كانَ يَخصُّ بذلِكَ ثَلَاثَ قَصَائدَ تنوّعتْ أغراضُها[2]، ورَبطَ العَقَّادُ بينَ هذهِ

١- يراجع، يوسف، أحمد عبدالحي، صيغ الأمر والنَّهي في ديوان أبي نواس: دراسة أسلوبيَّة، مصر، طنطا، التركي للطباعة والنشر، ١٩٨٨م،٨.

٢- يراجع، أبو ديبٍ، كمال، جدلية الخفاء والتَّجلِّي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ١٦٨-٢٢٨.

اللَّازمةِ والأمراضِ النّفسيّةِ التي تُودِي بهِ إلى الشُّذُوذِ نتيجةَ الإصابةِ بأمراضِ الغُدَدِ الصَّمَّاءِ(١)، كما رَدَّها النّويهيُّ إلى الشُّذُوذِ وسمَّاها عُقْدَةَ أُودِيب؛ إذْ رَبطَ بَينَ تَصويرِهِ الخَمرَ أُنثَى، والتذَاذِهِ بِفَضِّ بَكارتِها(٢)، كما سَبقَ أنْ ردَّها طه حُسين، متأثِّرًا في ذلكَ برُوَّادِ المَنهجِ التَّاريخِيِّ؛ أمثالَ هيبوليت تين، وسانت بيف، وجون لوميتر، إلى ظُرُوفِ عَصرِهِ؛ (٣)، واتَّخَذَهُ أدونيسُ نَمُوذَجًا مِثاليًّا لفِكرتِهِ الأَصيلَةِ "الثَّابتِ والمُتحوِّلِ"؛ فالخَمرُ هِيَ المُتَحوِّلُ، والطَّلَلُ هُو الثَّابِتُ، ورَأَى في ذلكَ تحوُّلًاحادًّا، يَعكسُ تَحوُّلَ الوقائعِ والأَحداثِ التي تَجعلُ النُواسِيَّ يؤسِّسُ لوَاقعٍ شِعْريّ جَديدٍ يُناسبُ المَحسُوسَ الجديد(٤).

ومَهما يَكُنْ مِن أمرٍ؛ فَأَرى أنَّ تَحوُّلَاتِ النُّواسِيِّ أَقرَبُ لِمَا افتَرضْتُهُ مِن اِستراتيجيَّةِ الإثبَاتِ والمَحوِ، أَوِ المَحْوِ والإثبَاتِ، من خِلَالِ عَتبَتِي البدْءِ والخِتامِ.

كما تَعكِسُ هذه الثُّنائيَّةُ الضِّدِّيَّةُ مَظَاهرَ التَّمَرُّدِ في خَمْرِيّاتِهِ، ونَزعتَهُ إلى الخُرُوجِ عن الإطارِ الشِّعريِّ التَّقليديِّ المبنيِّ عَلَى الاحتِذَاءِ والإعَادةِ؛ إذْ يَتبدَّى رَفْضُهُ الصَّريحُ للقواعدِ الجامِدَةِ التي تَعُوقُ تَدفُّقَ الإبدَاعِ، الذي يَشِي بِتَملْمُلِهِ مِنَ استِمْرَارِيَّةِ هذَا النَّمطِ الشِّعْريِّ إِلَى الصِّرَاعِ البَيِّنِ بَينَ تَطَلُّعَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ نَحوَ الحُرِيَّةِ الفَنِّيَّةِ، ومُتَطلَّباتِ السُّلْطَةِ، التي يُفْصِحُ عَنْهَا مِن خِلَالِ طَاعَتِهِ

١- يراجع، العقاد، عباس محمود، أبو نواس: الحسن بن هانئ، المكتبة العصرية، بيروت،(د.ت)،٥٧-٦١.

٢- يراجع، النويهي، محمد، نفسية أبي نواس: مكتبة الخانجي، القاهرة،(د.ت)،٤٧-٤٨.

٣- يراجع، حسين، طه، حديث الأربعاء،ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م،٤٢-٤٤.

٤- يراجع، أدونيس، علي أحمد سعيد، الثابت والمتحول، ط٣، دار العودة، بيروت،١٩٨٢م، ١٠٩/٢.

المُتَنَاقِضَةِ لأَمْرِ الخَلِيفَةِ الأَمِينِ، مَعَ إِلْحَاحِ تَحفُّظَاتٍ دَاخليَّةٍ وَاضِحَةٍ؛ كمَا فـي عَتبَةِ البَدْءِ هَذهِ:

أَعِرْ شِعرَكَ الأَطْلَالَ والدِّمَنَ القَفْرَا فَقَدْ طَالَ مَا أَزْرَى بهِ نَعْتُكَ الخَمْرَا

دَعَانِي إِلَى نَعْتِ الطُّلُولِ مُسَلَّطٌ تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَجُوزَ لَهُ أَمْرَا

فَسَمْعٌ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَطَاعَةٌ وَإِنْ كُنتَ قَدْ جَشَّمْتَنِي مَرْكَبًا وَعْرَا(١)

تَجَلَّتْ سُخريَّةُ أبي نُوَاسٍ منَ الحياةِ البدويَّةِ؛ بوصْفِها محاولةً نقديَّةً لتفكيكِ الأيديولوچيَا الشِّعريَّةِ التي تُعظِّمُ الصُّورةَ المثاليَّةَ للباديةِ، وهي صورةٌ استوطنتْ مُخيِّلةَ الشُّعَرَاءِ الذينَ تَغنَّوا بروعةِ الحَياةِ الصَّحراويَّةِ، فَيَدعُو أبُو نُوَاسٍ إلى تبنِّي أسلوبِ حياةٍ يتَّسمُ بالحَضَارةِ والتَّرَفِ، والنِّسَاءِ والغِنَاءِ:

أَدِرِ الكَأْسَ حَانَ أَنْ تَسْقِينَا وانقُرِ الدُّفَّ إِنَّهُ يُلْهِينَا

وَدَعِ الوصْفَ للطُّلُولِ إِذَا مَا دارَتِ الكَأْسُ يَسْرَةً وَيَمِينَا

أَعْفِنَا مِلْ طُلُولِ كَيفَ بَلِينَا وَاسْقِنَا نُعْطِكَ الثَّنَاءَ الثَّمِينَا(٢)

فَلا يَقِفُ أَبُو نُوَاسٍ عِنْدَ حدِّ النَّقدِ السَّاخرِ، أوِ الدَّعْوةِ لاعتِناقِ الحيَاةِ الحضَرِيَّةِ، بلْ يتعدَّاها إلى تَصويرِ البَديلِ بأُسلُوبٍ جَمَالِيٍّ، يَجْمعُ بينَ الخَمرِ والمرأةِ والغناءِ وأدواتِ الحضارةِ التي انعكسَتْ عليها جَمِيعًا.

يُعيدُ أبُو نُوَاسٍ، هُنا، تَشْكِيلَ الموضُوعِ الشِّعريِّ التَّقليديِّ، مُركِّزًا علَى حُضُورِ المَرأةِ، ولكنْ بصُورةٍ مُغايرةٍ لتلكَ التي كانَتْ تَظهرُ في القصَائدِ القديمةِ؛ فبينَما كانَ الشُّعراءُ التقليديُّونَ يَستحضِرُونَ الصُّورةَ الذِّهنيَّةَ للمرْأةِ الغائبةِ، يَخلقُ أَبُو نُوَاسٍ تَمثيلًا لِلمَرأةِ الحاضِرةِ، والفاعِلَةِ في المَشْهدِ الشِّعريِّ الخَمْرِيِّ.

١- أبو نواس، ديوانه،١٥٣/٣.

٢- السابق،٣١١/٣.

وهكَذَا تَبتَدِعُ المُقدِّماتُ النُوَاسِيَّةُ مَسَارًا شِعْرِيًّا يتَقَاطَعُ مَعَ المَورُوثِ القدِيمِ؛ فهُو يَطْمحُ إلى استبدَالِ الشَّوقِ إلَى الماضِي، وتمجيدِ اللَّحظةِ الرَّاهنةِ، وتبديلِ المفرداتِ الشِّعريَّةِ التي تَعتمِدُ علَى الغَيابِ والفُقْدانِ بلُغةٍ تعتنقُ الواقعيَّةَ والحِسِّيَّةِ؛ إذْ يَسعَى إلَى رَسمِ صُورَةِ الحيَاةِ التي يَعِيشُها؛ حَيثُ يَكُونُ الوُجُودُ والحُضُورُ هُما المِحوَرَانِ الأَسَاسيَّانِ للتَّجربَةِ الشِّعريَّةِ.

ومِنْ وِجهَةِ نَظَرِي؛ فإنَّ دَعوةَ أَبِي نُوَاسٍ التَّجديديَّةَ في الخَمريَّاتِ كانتْ صَادِرةً عنِ الصِّدْقِ الفَنِّيِّ، الذي كَثيرًا ما كانَ يَبْحثُ عنهُ؛ فالشَّاعرُ عَاشَ في عَصرٍ يَخْتلِفُ عنْ عُصُورِ مَنْ سبَقوُهُ؛ لذَا فمِنَ الجَديرِ بالذِّكرِ أنْ يصفَ ما هُو أَمامَ عَينَيهِ، ويُلَامسُهُ، ويُعَايشُهُ؛ فتَعلُّقُ أَبِي نُوَاسٍ بِحيَاةِ الحَضَارةِ واللَّهْوِ والتَّرَفِ، جَعَلَهُ يَصدرُ عَنها، ومنَ الصَّعبِ أن يَصدرَ عَن حياةٍ لمْ يَحْيَها؛ هذَا وجهٌ مِن وجُوهِ تَفْسيرِ المذْهبِ التَّجْديديِّ، وتتَّضِحُ الوُجُوهُ الأُخرى مِن خِلَالِ موقفِهِ الشِّعريِّ الذي تَجلَّى في خمريَّاتِه؛ كما أَوضحتُ آنِفًا.

وتَتَجلَّى الأَسْئلةُ حولَ الدَّوَافِعِ الكَامِنَةِ وَراءَ الابْتِكَارِ الشِّعريِّ الذي سلَكَهُ أَبُو نُوَاسٍ في تَبَايُنِ التَّأويلَاتِ النَّقْديَّةِ؛ فَيَعزُو بَعضُ النُّقَّادِ هذه الثُّنائيَّةَ؛ أعني المَحوَ والإثباتَ إلَى دَوافعَ عِرقيَّةٍ وشُعُوبيَّةٍ، مُرْجِعينَ ذلكَ إلى أنَّ خلفيَّتَهُ الفارسيَّةَ وموقفَهُ المعارضَ للسِّيادَةِ العَربيَّةِ قدْ مهَّدَا لهَذا التَّوجُّهِ، فيما يَعتَقِدُ آخَرُونَ أنَّ دعوتَهُ تنبعُ من رغبَةٍ جماليَّةٍ في الكشفِ عن الصِّدقِ الفنِّيِّ والتَّماسُكِ الشِّعريِّ، اللَّذينِ يَتَصَادَمانِ مَعَ الصُّورِ الطَّلَليَّةِ البالِيَةِ[1].

وكَما رَدَّها العَقَّادُ إلَى عَوَامِلَ نفسيَّةٍ، تَتَمثَّلُ في مَرَضِ الغُدَدِ الصَّمَّاءِ؛ كما أَسلَفتُ، أو إلَى شُعورِهِ بالنَّقْصِ مِن أَجلِ نَسَبِهِ" وكَانَتِ العُقْدَةُ تَتَعَمَّقُ في

١- يراجع، الفيل، توفيق، القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤: ٣٠.

باطِنِهِ أَكْثَرَ وأَكْثَرَ؛ نتيجَةَ اِهتِمَامِ العَصرِ بالنَّسبِ...فهُو يشربُ الخَمرَ؛ لأنَّها شَرابُ الملُوكِ، أو الشَّرابُ العَرِيقُ الذي عاشَ مَعَ أَجْدَادِهِ الأكاسرَةِ، والقَياصِرَةِ...وهُو يستريحُ إلى شُربِها؛ حيثُ لا فَخارَ بالآباءِ والأَجدادِ"[١]، فالعقَّادُ يُرجِعُ أَسبابَ عَتَباتِ المُقدِّماتِ إلَى أَسبابٍ نَفْسِيَّةٍ، تَتَّصِلُ بالبُعدِ الأُنثُروبُولُوچِي.

تُؤكِّدُ اِختِلَافاتُ التَّأويلِ تلكَ أَنَّ مَوقِفَ أَبي نُوَاسٍ اِستَندَ إلى مَوقِعِهِ الوُجُودِيِّ والتَّاريخِيِّ؛ إذْ نَشَأَ في عَصرٍ تَغيبُ عَنهُ المَلَامِحُ القَدِيمَةُ؛ كالأَطلَالِ والحَياةِ البَدَوِيَّةِ، ومِن ثَمَّ؛ كَانَ اِنعِكَاسُ تَجْرِبتِهِ الشِّعريَّةِ لوَاقِعِهِ المَعِيشِ أَمْرًا مُتَوقَّعًا، فَضلًا عَنِ العَوامِلِ الأَيديولوچِيَّةِ؛ كالهُوِيَّةِ الفارسِيَّةِ، والإحسَاسِ بالنَّقْصِ.

شَكَّلَ كُلُّ ما سلَفَ أَرْضِيَّةً خِصبَةً لتَبنِّي مَنْهَجٍ تَجْدِيدِيٍّ في الشِّعرِ، اِستَطَاعَ أبو نُوَاسٍ مِن خِلَالِهِ أَنْ يَبرزَ؛ بوَصفِهِ رَمزًا للشَّاعِرِ العبَّاسيِّ المُعاصِرِ المُتمرِّدِ، مُتَّخذًا من تَجْرِبتِهِ الإبدَاعيَّةِ مُحاكاةً لتَجربتِهِ الحيَاتيَّةِ، مُبتعِدًا عنِ النَّمطِيَّةِ الطَّلليَّةِ ومُتَّجِهًا نَحوَ إعادَةِ تَشكيلِ الأَدَبِ العربيِّ.

ويتَّضِحُ مَوقفُهُ الذي يَكادُ يكُونُ سُلْطَةً في مُقَابلِ السُّلْطَةِ، بتَصْدِيرِ عُنوَانِ قَصِيدَتِهِ بالإنشَاءِ الأَمْرِيِّ الذي يمزجُ فيه السُّلْطَةَ بالإغْوَاءِ والإغْرَاءِ:

اِنْسَ رَسمَ الدِّيارِ ثُمَّ الطُّلُولَا وارْفُضِ الرَّبعَ دارِسًا ومُحيلَا
هَلْ رَأَيْتَ الدِّيَارَ رَدَّتْ جَوَابًا وَأَجَابَتْ لَدَى السُّؤَالِ سُؤُولَا
واَشْرَبْنَها كَأَنَّهَا عَينُ دِيكٍ يَطْرُدُ الغَمَّ طَعْمُهَا والغَلِيلَا[٢]

١- يراجع، العقاد، أبو نواس،١٢١.

٢- أبو نواس، ديوانه،٣/٢٥٧.

وَيُفصِحُ خِطَابُ أَبي نُوَاسٍ، أيضًا، عنْ مَوقِفٍ شِعْرِيٍّ مُتَحفِّزٍ، يَنحُو فيهِ نَحوَ نَبذِ المُقدِّماتِ الطَّلَليَّةِ برُمَّتِها، مُحْتَفِيًا بتَمجيدِ الخَمْرِ وَاصِفًا إيَّاها بَدِيلًا جَذَّابًا لتلكَ الطُّلُول؛ لِينسِجَ النُوَاسِيُّ بذلكَ خِطَابًا مُعَارِضًا، يَقِفُ في وجهِ التَّيَّارِ الشِّعريِّ المَألُوفِ، الذي استَوطَنَ مُخيِّلَةَ الشُّعَراءِ عَلَى مَرِّ العُصُورِ. يَتَجلَّى هذَا المَوقِفُ من خِلَالِ الأوامرِ الصَّريحَةِ التي تَتَخلَّلُ قَصَائِدَهُ هذهِ الأَوَامِرُ؛ كمَا أَسلَفنَا؛ مثلَ: "اُترُكْ" و" اِنسَ" و" اِشربْنَها"؛ إذْ تُؤكِّدُ هذه الأَفْعَالُ التَّكليفيَّةُ عَلَى عَزمِهِ القَويِّ لاستِمَالَةِ الشُّعَراءِ للتَّخلِّي عنْ تقاليدِهِم الرَّاسِخَةِ، وذَلكَ بتَوظِيفِ نُفُوذِهِ الشِّعْريِّ لتَرسِيخِ اتِّجَاهِهِ الأَدَبيِّ الثَّوريِّ. يَتَعدَّي أَبُو نُوَاسٍ مُجرَّدَ الرَّفضِ إلَى تَقديمِ البَدِيلِ في صِيغَةٍ مَلمُوسَةٍ ومُغْرِيةٍ، تَهدُفُ إلى إقنَاعِ الشُّعَرَاءِ بتَقليدِ الأُسلُوبِ النُّوَاسِيِّ الجَديدِ، وفي هذَا الصَّدَدِ يُلمحُ النَّاقدُ عبد الواسع الحميريُّ إلى هذهِ الابتكاراتِ الشِّعريَّةِ لأبِي نُوَاسٍ" بدَا الخِطابُ المَاجِنُ لِهَذَا الشَّاعِرِ؛ بوَصفِهِ خِطَابًا مُوجَّهًا ضِدَّ بِنيَةِ التَّخَاطُبِ البَيانيّ التي لا تَزَالُ سَائِدَةً حَتَّى لَحظَةِ التَّخَاطُبِ الجَدِيدَةِ...ما أَحالَ خِطَابَهُ الماجِنَ خِطَابًا في مُوَاجَهَةِ كُلِّ أَنسَاقِ السُّلطَةِ، أَو إرَادَتِهَا، وبِخَاصَّةٍ سُلْطَةُ الأُنْمُوذَجِ الشِّعريِّ القَدِيمِ"[1].

وفي حينِ يغوصُ الشَّاعِرُ التَّقليديُّ في ذِكرياتِهِ عَنِ الأَطلَالِ، مُستَحْضِرًا الحَبِيبَةَ، ومُتأمِّلًا الدِّيارَ المُوحشَةَ؛ مِمَّا يُثقِلُ كاهِلَهُ بالأَسَى، يَتَسَاءَلُ أَبُو نُوَاسٍ عَنْ جَدْوَى الوقُوفِ عَلَى ما يَعتَصِرُ القَلْبَ حُزْنًا، ويَتْرُكُ النَّفسَ مُثقَلَةً بالهُمُومِ، يَقتَرِحُ أَنْ يَرتادَ بدلًا منْ ذلكَ مَسَالِكَ تَدْعُو إلَى البَهْجَةِ والنِّسْيَانِ، ويُعَبِّرُ عَن ذلكَ في عَتَبَةِ قَصِيدتِهِ الرَّائيَّةِ، التي لمْ تَخلُ، أيضًا، مِنَ الأَمرِ الإنشائِيِّ الذي يَمْحُو، هذهِ المرَّةَ، مَعَ أنَّ بِنيتَهُ تبنِي وتُثْبِتُ، ولا تَنفِي، ولكِنَّ إلحَاحَهُ عَلَى صِيغَةِ: "دَعْ" حَوَّلَ الأَمرَ إلى سَلْبٍ:

١- الحميريّ، عبد الواسع، خطاب الضِّدِّ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م، ٣٢.

دَعْنِي مِنَ النَّاسِ وَمِنْ لَومِهِمْ وَاحسُ ابنَةَ الكَرمِ مَعَ الحَاسِي[١]

يَتَحوَّل المَوقِفُ، هُنَا، من مَوقفٍ أيديولوجيّ أو اجتِمَاعِيّ، بالرَّغمِ منْ ذِكرِهِ النَّاسَ، إِلَى مَوقِفٍ ذَاتِيٍّ وجْدَانِيّ يَنتَمِي لِطَابعِ المُذَكِّرَاتِ، والإِفاضَةِ النَّفسِيَّةِ، الذي سرعانَ ما يَتَحوَّلُ مِنَ انكِسَارٍ، وانكفاء عَلَى الذَّاتِ إِلَى مُوَاجَهَةٍ وإِمْعَانٍ في اللَّذَّاتِ:

دَعِ الأَهْوَاءَ؛ للأَهْوَاءِ نَاسُ أَلَذُّ العَيْشِ إِبْرِيقٌ وَطَاسُ[٢]

فَحِينَ تَصِيرُ الخَمرُ دُستُورَ حَياةٍ، وفَلسَفَةً، ويقينًا يَغذُو ما سِواها ظَنًّا وهَوًى، ويُمسِي العَيشُ الحَقِيقيُّ لذِيذًا مُمتِعًا بينَ إبريقِ الخَمرِ وآنيَتِها.

٢- تَأويلَات الخَمْرِ بَينَ ثَقافَةِ العَصْرِ ونُزُوعِ الذَّات:

عِندَ التَّأمّلِ في خَمريَّاتِ النُّواسِيِّ، والنَّفاذِ إلى ما وَرَاءَها مِن تَأْوِيلَاتٍ؛ فيما نَلْحَظُهُ مِنْ تَمْجيدِهِ ثَقافةَ الخَمرِ بِرُوحٍ جامِحةٍ، تَتَّسِمُ بالمَرَحِ والمُجُونِ، تَشِي بِأنَّ هذهِ الرُّؤيَةَ ليستَ مُجرَّدَ تَعبيرٍ عَن ذاتيَّةِ الشَّاعرِ أوِ انعزالِهِ عنْ مُحيطِهِ، بَلْ عَلَى العكْسِ، فإنَّ أبَا نُواسٍ يَعْكِسُ بدقَّةٍ رُوحَ عصرِهِ بكُلِّ تعقيداتِهِ الثَّقافيَّةِ، وتَناقضَاتِهِ الأيديولوجيَّةِ، ولفَهمِ هذا البُعدِ يَتعيَّنُ علينَا استِحضَارُ سياقِ الدَّولَةِ العبَّاسيَّةِ؛ لنُدركَ أنَّ خمريَّاتِهِ صدًى لبيئتِهِ العِراقيَّةِ الجامِحَةِ أيضًا، التي لمْ يَكُنِ النُّواسيُّ مُنعَزِلًا عَنهَا؛ لذا لم يكتفِ بتَحويلِ الخَمْرِ إلى جُزْءٍ مِحْوريٍّ يُمثِّلُ عَتَباتِ القَصيدَةِ، بلْ رَفعَها إلى مَوضُوعِها المِحوريِّ، مُخلِّدًا، بذلكَ، طُقُوسَ الشُّربِ، وأَجْوَاءَ المَجَالسِ، وأَدوَارَ السَّاقينَ؛ فابتدَعَ شَكْلًا شِعْريًّا جَدِيدًا، يَجعَلُ مِنَ الخَمْريَّاتِ فِئةً قائمَةً بذَاتِها، لا تَقتَصِرُ عَلَى وَصفِ اللَّذَّةِ والسُّكرِ فَحَسبُ، بلْ تَمتَدُّ لتَشمَلَ الحالَةَ الرُّوحيَّةَ والنَّفسيَّةَ للمُحتَسِي؛ لذَا تجذَّرتْ دواعي خمريَّاتِهِ، وانبثَقَتْ نتَائجُها أيضًا، بَينَ ثَقافَةِ عَصْرِهِ ونُزُوعِهِ الذَّاتِيِّ.

١- أبو نواس، ديوانه،١٩٣/٣.

٢- السابق،١٩٥/٣.

٢/١- الخَمْرِيَّاتُ بينَ مُجُونِ الذّاتِ وثَقافَةِ الزّندقَةِ:

لَعَلَّنَا نُلَاحظُ بمَا تُؤَكِّدُهُ السِّيميائيّاتُ الحَدِيثةُ مِن رَبطِ العتَبَاتِ بالسِّيَاقَاتِ أنَّ الخَمْرِيَّاتِ النُّوَاسِيَّةَ لا تُجَسِّدُ الانغِماسَ في المُجُونِ واللَّهْوِ وجموحِ ذاتيٍّ، مَهْمَا اختَلَفَتْ رُؤَى النُّقَّادِ في دَواعيهِ وأَسْبابِهِ، بِحَسَبِ تَأْوِيلَاتِ النُّقَّادِ التي أَجْمَلنَاهَا سَابِقًا فَحسْبُ، بلْ كانتْ صَدًى أيضًا لثقافةِ العَصْرِ، وما شاعَ فيهِ منَ الزَّندقَةِ، والشُّعُوبِيَّةِ السَّائدةِ في العصرِ العبَّاسِيّ؛ فقدْ شَكَّلَتْ ثقافةُ الأُممِ الأُخرى أيضًا ثورةً عَلَى النَّمطِ الشِّعْرِيِّ العربيّ القديمِ الموروثِ، الذي كانَ يَعتَمِدُ عَلَى وِحدَةِ البَيتِ الشِّعْرِيّ.

ولكِنَّ النُّواسِيَّ في خَمْرِيَّاتهِ يُحقِّقُ وَحْدةً عُضويَّةً وَموضوعيَّةً جَدِيدَةً، يُخَصِّصُ فيها قَصَائدَ بأَكملِها لموضُوعِهِ الخَمريّ؛ ليَصيرَ مَشْرُوعًا إبداعيًّا وثقافِيًّا، ورؤيةً للحياةِ والوُجُودِ، والنَّاسِ، مِحورُهُ الخَمرُ؛ بوصفهَا قادِرَةً عَلَى تقديمِ تصوُّرٍ جديدٍ متكاملٍ، عبرَ بِنائِهِ الشِّعْرِيِّ الذي يَتَجاوزُ الأشكالَ التَّقْلِيدِيَّةَ إلى أُفُقٍ أَرْحبَ مِنَ الإبداعِ الأدَبِيّ.

وبَعدَ أنْ كانَ نقَّادُنا القُدَماءُ العَرَبُ يَرَونَ البَيتَ وِحدةً مستقلَّةً، ينادونَ بها ويَعيبُونَ مَنْ أخلَّ بهَذِهِ الوِحْدةِ مِنَ الشُّعراءِ؛ لكَونِهِ يُوزّعُ الفِكرةَ الوَاحِدَةَ في أبياتٍ مُتَفرّقَةٍ، جَاءَهم النُّواسيُّ رَافِضًا هَذهِ المَبادئَ، ومُتَمَرِّدًا عَلَى هَذِهِ التَّقَاليد، بل يأبَى إلَّا أَنْ يَتَحَرَّرَ مِنها؛ وذَلِكَ لسببٍ يَراهُ في أنَّ البيتَ المُستقلَّ لا يُمكِّنُهُ مُطلَقًا مِنْ سَردِ قِصَّتِهِ، وإدَارةِ الحِوارِ بينَ الشَّخْصِيَّاتِ التي يوزّع عليهم رسالتهُ، ووِجْهَةَ نَظَرِهِ[١].

١- يراجع، خليف، يوسف، تاريخ الشِّعْر في العصر العباسي، دار الثَّقَافَة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١م، ٦٤-٦٥.

وَعِندَ مُحاولةِ تأويلِ عَتَباتِ الخِطَابِ الخَمْريّ النُوَاسِيِّ، الذي عرضنا لهُ آنفًا، نجِدُهُ خطابَ مُجُونٍ ولَهْوٍ علَى المُستوَى الذّاتِيّ الشَّخْصِيِّ، على الأقلّ في بنيتِهِ السَّطحيَّةِ؛ لِمَا يَحمِلُهُ من مَعانٍ صادِمَةٍ، تُخالِفُ وتَضادُّ ما كانَ شائعًا منَ المَعانِي الشَّريفةِ، هَذَا مِنْ جهةٍ، ومِن جهةٍ أُخرَى فإنّهُ خِطَابٌ ضِدَّ بَعضِ المُمَارَسَاتِ السُّلطويّةِ التي لا يتَّفِقُ معَها النُوَاسِيُّ في بنيتِهِ العميقَةِ، الذي لَمْ يَكُنْ يَهدفُ مِن خطَابِهِ الخَمْريّ مُجرَّدَ الحَدَاثَةِ والتَّجدِيدِ في بنية القصيدَةِ، إنَّما هُوَ اِختِبارٌ لِرَأي النّقَّادِ والصّدامُ معهم(١).

وتَرى الباحِثَةُ أنَّ ذَلكَ رُبَّما كَانَ اختبارًا في التّلَقِّي للثّقافةِ، والتَّحَوُّلاتِ الاجتِماعيَّةِ، ورَأْيِ المَحْكُومينَ في الحاكِمِ؛ بوَصْفِهِ مُمَثِّلًا لثَقافَة السُّلطةِ العَربيَّةِ المُسَيطرةِ.

وقدِ عرض العربيّ درويش بالتّفصيل لِمَا أَضَافهُ النُّواسِيُّ لمجالسِ الخَمرِ، وعرضَ لآرَاء النّقَّادِ الذين سبقُوهُ؛ كأحمد عبدالسّتّار الجواري، ومصطفى الشّكْعة، وشوقي ضَيْف، ومحمد مصطفى هدَّارة، وغَيرِهم، مُجملًا إيَّاها في مَفهُومَي الحداثةِ الشّعريَّةِ، وتمثيلِ ثقافة العَصرِ بمُجُونهِ، وزَنْدقَتِهِ، ولَهْوِهِ، وما شَاعَ فيها منْ شُعُوبيَّةٍ (٢).

وأرى في تأويلِ هَذا الخِطَابِ إلى أنَّهُ كانَ خِطابًا ثَائرًا متمرِّدًا علَى السِّياسةِ والثَّقَافَةِ والمجتمعِ بأسرِهِ، وأرى ما رآهُ عبدُالواسعِ الحِميريُّ في وَصفِهِ خِطابَهُ الخَمريَّ المُجُونيَّ أنَّهُ "شَكَّل النَّفيَ السَّلبيَّ للمُخاطب...إنَّ هَذَا الشَّكلَ من أَشكَالِ خِطَابِ الضِّدِّ، قدْ وجَدَ أَصلًا في مُوَاجَهَةِ كُلِّ أَشْكَالِ السُّلطَةِ

١- يراجع، درويش، العربي حسن، أبونواس وقضية الحداثة في الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ٢٨٤-٢٨٥.

٢- يراجع، درويش، العربي حسن، الشعراء المحدثون في العصر العباسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ٩٢-١٠٥.

التي تسكنُ الخِطابَ البيانيَّ الذي سَادَ في هَذِهِ المرحلَةِ بكافَّةِ صُوَرِهِ وأَشْكالِهِ ومَجَالَاتِ عَملِهِ"[1]؛ من ذَلِكَ يُمكنُنا إجمالُ تجليَّاتِ النَّزعةِ المُجُونيَّةِ النُّوَاسِيَّةِ من خِلَالِ خِطَابِهِ الخمريّ في عددٍ منَ الأنماطِ الخَطَابيَّةِ التي وقَعَتْ في مُواجَهَةِ الأَنماطِ السَّائِدَةِ:

٢/١/١- خطابُ الخمريَّاتِ في مواجهة السُّلطَة:

نلاحظُ من خلالِ عَرضِنَا السَّابق أنَّ خِطَابَ العتباتِ في خَمريَّاتِ النُّوَاسِيّ، وأرى من خلالِ تأويلِهِ الذي يُراعِي سِياقاتِهِ الذّاتيَّةِ والعامَّةِ أنَّ الخمْرِيَّاتِ لديهِ صِنو المُجُونِ، ولكنّهُ تمرُّدٌ يَقعُ في مُواجَهةِ السُّلْطَةِ السِّياسيَّةِ، والصِّراعِ معَها، بما فَرَضَتْهُ عَلَى الشِّعْراءِ منْ قُيودِ القولِ الشِّعْرِيِّ "هَذِهِ السُّلطَةُ التي فَرضَتْ عَلَى الشَّاعِرِ المعاصرِ ألاّ يقولَ الشِّعْرَ في مَوضُوعاتٍ، وأن يقولَ الشِّعْرَ في مَوضُوعاتٍ أُخرَى، فأَصْدرتْ مَرسُومًا بِمَنعِ الشَّاعِرِ (الماجِنِ) مِن قولِ الشِّعْرِ في المرأةِ الحاضرةِ، وإلزامِهِ بقولِ الشِّعْرِ في المَرأَةِ الغائبةِ عن طريقِ الوقوفِ عَلَى الأَطلالِ"[2].

ومن ثمَّ؛ فَخِطَابُ الخَمريَّاتِ النُّواسِيَّةِ قد خالفَ بشكلٍ أشدُّ جرأةً ثقافةَ العصرِ، والأعرافَ الشِّعْرِيَّةَ المُتعَارفَ عليها في زَمانِهِ؛ اختار بمَحضِ إرادتِهِ أُسلُوبًا مُغايرًا في القصيدِ، كما سَبقَ الإشارةُ إليهِ في المُقدِّماتِ الخَمريَّةِ التي أوردناها سَلَفًا، فلمْ يقفْ تَمَرُّدُهُ عِندَ هَذَا الحَدِّ، بَلْ تعَدَّاهُ إلى التَّغَنِّي في الحُبِّ الذُّكوريِّ في تَحدٍ واضحٍ للمعاييرِ الاجتِمَاعِيَّةِ والأَدَبيَّةِ، كأنَّما يعلنُ أبُو نُوَاسٍ من خِلَالِ شعرِهِ أنَّ المحظورَ في الغزلِ النِّسَائيّ لَنْ يُثنيَهُ عَنِ التّعْبيرِ عَنِ الحُبِّ بأشكالِهِ المُتعدِّدَةِ، مُتخَطِّيًا بذَلِكَ حُدُودَ المَألُوفِ إلى آفاقِ الشِّعْرِ الجَريءِ

١- الحميريّ، عبد الواسع، خطاب الضدّ، ٣٠.

٢- السابق، ٤٠.

والمُستكشفِ؛ فيقولُ في الجمعِ بينَ الخمرِ والزّندقَةِ والمجونِ مُعانـدًا سُـلطَةَ المجتمعِ، ضَارِبًا بكلامِهِم عَرضَ الحائطِ؛ لأنَّهُ يسعَى ليَنالَ وَطرَهُ هُو في المُتَعِ الحِسِّيَّةِ المُقْتَرِنةِ بالخَمرِ، في عَتبةِ البَدءِ:

قَالُوا: نَزعْتَ، ولَمَّا يَعلَمُوا وَطَرِي في كلِّ ظنّي سَـحُورِ الطَّـرفِ مَيَّـاسِ
كَيفَ النُّزُوعُ؟ وقَلبِي قَدْ تَضَـمَّنَهُ لَحْظُ العُيُونِ، ولَونُ الرَّاحِ في الكَاسِ؟[1]

فهُو يَجمَعُ بين الغَزلِ بالمُذكَّرِ، وشُربِ الخَمـرِ فـي مُوَاجهـةٍ سـافرةٍ للسُّلطةِ، التي تفرضُ سلطتها على المجتمعِ، بل إنَّهُ يُحدِّدُ لمُجتمعِهِ نوعَ اللَّـذَّةِ متى نزعُوا نزعتَهم، أو بحثُوا عن ملذَّاتهم؛ فاللَّذَّةُ الحقيقيَّةُ في الخَمـرِ، التـي لايَرقَى رُقيَّها إلَّا مَن قلبُهُ عامرٌ بالجمَالِ؛ إذْ يَسـعَى إلـى تَجْميـلِ مَجْلِسِـها بِصُنُوفِ الزُّهُورِ الآسِرةِ:

اِعزِمْ عَلَى سَلْوَةٍ إلَّا عـنِ الكَـاسِ ودَعْ سِـواها مـنَ اللَّـذَّاتِ للنَّـاسِ
فَالعَيشُ في مجلسٍ حُفَّـتْ جوانِبُـهُ بالنَّرجسِ الغضِّ والنِّسْرِينِ والآسِ[2]

فالإغراءُ واضِحٌ بتعدادِهِ أنواعَ الوُرودِ من نَرجسٍ زاهٍ نَضرٍ، ونَسـرينٍ يتآلفُ معهُ ومعَ الآسِ ليضفِي علَى مجلسِ الخَمرِ جَمالًا فوقَ جَمالٍ.

ونراهُ يتَّخِذُ منَ المُجُونِ مبدًا يؤمن بهِ، ومَذهبًا يثقُ في سَدادِهِ، وعَاطِفـةً يتمسَّكُ بها؛ لذا يُكرِّرُ القولَ في جمَالِ مَجلسِها في عتباتِ البدءِ؛ بوَصْفِها بَدِيلًا عنْ قيمِ المُجتَمعِ، التي تحرسها سلطَةٌ، لا تُؤمنُ بالجَمالِ، ولا تمتلـك حسَّـهُ، ومشاعرَهُ، ومبادئهُ:

يَـا عَـاذِلِي بِمَـلامٍ مُـرَّ بِالِيـاسِ فَلَستُ أُقلِـعُ عَـن رَيحانَـةِ الكَـاسِ
تَباعَدَ العَذلُ عَن قَلبِـي علَـى ثِقَـةٍ كَما تَباعَـدَ بَـينَ الـوَردِ وَالآسِ[3]

١- أبو نواس، ديوانه،٣/١٩٠.

٢- السابق،٣/١٩١.

٣- السابق،٣/١٩٩.

ولأنَّهَا صَارتْ مَذْهبًا أَوشكَ أنْ يكُونَ دِينًا؛ فَلَا بَأسَ أن يُكْسِبَها مسوحَ الدِّينِ، ويُحاكِيَ دَعَواتِ الصَّالِحِينَ للأَمَاكِنِ الطَّاهِرةِ، والمُحبّينَ لأَمَاكِنِ المَحبُوباتِ:

لا خَرَّبَ اللهُ كَرْخَ السُّوسِ وَالسُّوسَا يَومًا وَلا مَجْلِسًا بِالسُّوسِ مَأْنُوسَا

وَحَبَّذَا حَانَةٌ بِالكَرخِ تَجمَعُنَا نُطيعُ فيها بِشُربِ الخَمْرِ إِبليسَا[1]

فَثَمَّةَ جرأةٌ صَادِمَةٌ في طَاعَةِ إبْليسِ في أَماكِنِ المَعصيةِ في مُقابِلِ عِصيانِ اللهِ تَعَالَى في أماكنِ الطَّاعةِ، وينتقلُ بالمقارنَةِ عبرَ المكانِ والزّمانِ؛ فلئنْ كانتِ الخمرُ بمَثابةِ الدّينِ فَسَيضطرُّ أنْ يَجدَ نفسَهُ في صِراعٍ بينَ إسلَامِهِ، وما تَتطلَّبُهُ الشَّريعَةُ منَ التزامٍ بِصَلاةٍ وحجّ وصيامٍ، وتقديسٍ لأَوقاتِ الطَّاعاتِ، وما تَفرضُهُ الخَمرُ منْ طُقوسٍ تُقابلُها: [2]

يَا بِأَبِي مَنْ جاءَني زائِرًا في شَهرِ ذي الحِجَّةَ مِن نِصفِهِ

بَاتَ يُعاطيني عَلَى خَلْوةٍ خَمرًا بِعَينَيهِ وَمَن كَفِّهِ

وَكُنْتُ فِيمَا بَينَ ذا رُبَّمَا أَدْنَيتُ خَلْخَالَيهِ مِن شَنَفِهِ

هذا دينٌ إبليسيٌّ، تجتمعُ فيهِ المعاصِي في الخمرِ والغِلمانِ، دونَ تقديسٍ لزمانٍ، أو مكانٍ؛ إنَّها ثورةٌ في وجْهِ كلِّ سلطةٍ، وكأنَّهُ إحساسٌ بالإحباطِ واليأسِ من هذا المجتمعِ الذي تقتربُ فيه صَيحاتُ التّمرُّدِ منَ الهذَيانِ الذي يَشِي بِحَالَاتٍ اكتئابيَّةٍ نتيجةَ صِراعينِ: داخليٍّ وخارجيٍّ.

١- أبو نواس، ديوانه ،١٩٩/٣.

٢- السابق،٢١٢/٣.

٢/١/٢- خطَابُ الاكْتِئَابِ بَينَ الخَمْرِ والنِّسَاءِ:

لَعَلَّ تَشخيصَ الاكتئابِ قد يكونُ جريئًا، ولكنَّهُ محاولةٌ ممكنةٌ، لا تقلُّ عن الاتِّهامِ بالشُّذوذِ أو أمراضِ الغُددِ، أو عُقدةِ أوديبَ التي شخَّصَها النّقّادُ السَّابقُون، ولكنَّها تَظلُّ مُحاولةً لتفسيرِ هذهِ المَواقفِ الحادَّةِ المُضطَربةِ للنُّواسِيّ، وبخَاصَّةٍ في عَلَاقتهِ بالمرأةِ، بعدَما مرَّ بنا من شُذوذِهِ المعرُوفِ معَ الغِلْمانِ؛ فلنَا أَنْ نَتَسَاءَلَ: ما عَلَاقةُ الخمريَّاتِ النُّواسيَّةِ بالمرأةِ، ولاسيَّما أنَّهُ يوحِّدُ بينهما في تماهٍ تامّ تقريبًا، ولعلَّنا نَقرأُ ذلكَ في خِطَابِ العَتَباتِ الذي هُو همُّ هذا البَحثِ ووَجهتهُ؛ فَنراهُ في عَتبةِ العُنوانِ؛ يتَّخِذُ منَ الخَمرِ خَطِيبةً، يَمهرُها بأَرطالٍ منَ الذَّهبِ؛ لأنَّه سَينالُ أَضْعَافَ ذلكَ ذَهبًا أنفسَ مِن فِيهَا:

يَا خَاطِبَ القَهوَةِ الصَّهباءِ يَمْهُرُها بالرَّطلِ يَأخُذُ منها مِلأَهُ ذَهَبا[١]

ويَختِمُ هذه القصيدَةَ باستِحقاقهِ الخاصِّ بهَا، وانفِرَادِهِ بهذا الحقِّ؛ لكَونِهِ أَتْلفَ في سَبيلِ الوصُولِ إليها الغالِيَ والنّفيسَ:

يَا قَهْوَةً حُرِّمَت إِلّا عَلَى رَجُلٍ أَتْرَى فَأَتلَفَ فيها المَالَ وَالنَّشَبا[٢]

هكَذَا يَتميَّزُ الخِطَابُ النُّواسِيُ بتصويرِهِ المرأةَ في حالاتٍ مخالفةٍ للصُّورةِ المثالِ في الشِّعْرِ القديمِ، مُخترقًا بذَلِكَ حُدُودَ البيانِ التي حاولتِ السُّلطاتِ السِّيَاسِيَّةِ فَرضَها.

ومِنْ ثَمَّ؛ يَقِفُ أبُو نُوَاسٍ رمزًا للتَّمرُّدِ الأدَبيِّ والسِّياسِيّ، مُتَحَدِّيًا بقَصائدِهِ سُلطَةَ الحاكمِ، وعندَ النّظرِ في تَجلِيَّاتِ الخِطَابِ النّسْوِيّ إلى جِوَارِ خطابِ الغزلِ بالمُذكَّرِ نلمسُ دقَّةً في التَّصْويرِ، وإبدَاعًا في الوَصفِ، وإفراطًا في التّزيينِ والإغْراءِ والإغْواءِ؛ ممَّا يدلُّ عَلَى إصْرَارِهِ عَلَى كَسْرِ القُيودِ الأَدبيَّةِ

١- أبو نواس، ديوانه ٣/٤٩.

٢- السابق،٣/٥٠.

المَفرُوضَةِ؛ يتبلورُ في شَخْصِ أبي نُوَاسٍ؛ بوَصْفِهِ نَموذجًا لثوريٍّ يقِفُ في وَجهِ القُوى السِّيَاسِيَّةِ، وفي الآنِ ذَاتِهِ، يمثِّلُ نَمُوذجًا للشَّاعِرِ الذي يُحْدِثُ طَفْرةً جديدةً في الشِّعْرِ بمَنظُورٍ جَدِيدٍ؛ فكَما رَأَيْنا الغَزَواتِ اللَّيليَّةَ التي أَرسَاها أَميرُ شُعراءِ الجاهليّةِ امرؤُ القيس:

سَمَوتُ إِلَيهَا بَعدَ مَا نَامَ أَهلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ المَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ[1]

يَستَبدِلُ النُّواسِيُّ بغزواتِ المُتغزّلينَ للمرأةِ غزوةً ليليَّةً للخَمرِ:

يا رُبَّ مَجْلِسِ فِتيَانٍ سَمَوتُ لَهُ وَاللَّيلُ مُحتَبِسٌ في ثَوبِ ظَلْمَاءِ[2]

وعندَ ختامِها تأتِي عَتبةُ الختامِ بالتَّعبيرِعَن لذَّةِ الوَصلِ، وما حقَّقَهُ مِن سَعادةٍ بالمَحبُوبةِ الخاصَّةِ يَشغلُهُ عنْ لَومِ اللَّائمينَ:

وَلَائِمٍ لامَنِي جَهلًا فَقُلتُ لَهُ إِنِّي وَعَيشِكَ مَشغُوفٌ بِمَولَائِي[3]

قد يُظنُّ، عندَ الوهلَةِ الأُولَى، أنَّ أبياتَ أبي نُوَاسٍ تتوجَّهُ نحوَ الأُنُوثَةِ بخِطابِها الغَزليِّ، ولكنَّ التَّأمُّلَ الدَّقيقَ يكشِفُ أنَّ الموضُوعَ هو غَزلٌ في الخَمرِ، مع كونِه يُدخلُ فيهِ صفاتٍ تقليديَّةً تُناسِبُ عِشْقَ النِّسَاءِ؛ وفي مَتنِ القصيدةِ لا يفوتهُ أن يَستغرقُ في هذا الاستِبْدَالِ؛ فَيَصِفُ كلَّ مفاتِنِها؛ كوسمِ الحِنَّاءِ، ونعومةِ الشَّعْرِ، وجَمَالِ العَينينِ، في سِياقٍ يُصوِّرُ فيه أنثى بشكلٍ غيرِ مألوفٍ.

ومِن ثَمَّ؛ فَإِنَّ هَذَا التَّحوُّلَ الجريءَ، يُؤسِّسُ لانقلَابٍ في الفَنِّ والسِّياسَةِ، أو في الثَّانيةِ عن طريقِ الأولَى؛ فنراهُ يَعْصِفُ بالمَفاهِيمِ الرَّاسِخَةِ، ويَبتكِرُ

١- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ٣١.

٢- أبو نواس، ديوانه، 8/٣.

٣- السابق، ١٠/٣.

مُكافئًا جَدِيدًا لها، فكَماعالجَ ظاهرةَ الغِلمانِ، التي كانتْ بمثابةِ تـــابو(Taboo) في المجتمعِ العبَّاسِيّ، مُتَّخذًا إيَّاها مَوضُوعًا مَركزيًّا في شِعْرِهِ؛ لِكَونِهَا ظَاهِرَةً مُستَهجَنَةً تَقَعُ تَحتَ أَنْظارِ الخليفةِ، فإنَّهُ لم يجد مانعًا في أن يحوّلَ استلهامهم المرأةَ في تَعبيرِهم الشِّعْرِيّ إلى استلهامِ الخمرِ، واجدًا في ذَلِكَ ما يُعدُّ انعِكاسًا لوَاقعِهِ المَعِيشِ، مُتمرِّدًا عَلَى نظامِ القولِ السَّائدِ، دونَ أنْ يتَخَلَّى عنْ إظهـــارِ جوانبَ منَ الواقعِ الاجتماعِيِّ الذي يعيشُهُ؛ فقد شَعُرَ أبو نُوَاسٍ بأنَّـــهُ يُشـــكِّلُ قطيعةً مع القيمِ الأدبيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ، ويتَحدَّى الخِطَابَ الرَسميَّ للسُّـــلطةِ، مُعِيـــدًا تعريفَ مسارِ الإبداعِ الشِّعْرِيِّ ليعيدَ في ظنّهِ وخيالِهِ الذَّاتيّ تشكيل مجتمعـــهِ، وخلقَ وعيٍ جديدٍ خاصٍّ بهِ؛ بوصفِها مفجّرَ الثَّورةِ ومُلهمَ الثُّوَّارِ.

٢/٢- خِطَابُ المُجُونِ خطاب الثَّورة:

مَرَّ بنَا كَيفَ مَثَّلَ غَزلهُ بالمُذَكّرِ المُمتزجُ بخَمْريّاتهِ، والمنبثقُ منها ثورةً ضِدَّ السُّلْطَةِ الاجتِمَاعِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ، وتَمرُّدًا عَلَى السُّلطَةِ السِّيَاسِيَّةِ، ويبدُو لَنَـــا، أيضًا، أنَّ خطابَهُ الخمريّ الماجنَ يمثِّلُ ثَورةً وتَمرُّدًا عَلَـــى السُّـــلطةِ الدِّينِيَّـــةِ والاجتِمَاعِيَّةِ، ويتجلَّى ذَلِكَ في شُعُوبِيَّتِهِ وزندقتهِ من جِهَـــةٍ، وخَرقِـــهِ للنِّظَـــامِ الاجتماعيِّ السَّائدِ من جهةٍ أُخرَى.

وتبرزُ هذهِ الشُّعُوبيَّةُ من خِلَالِ أبياتهِ الشِّعْرِيَّةِ التي تأتي عتباتٍ دالَّةً على إعجابهِ بالشُّعُوبِ الأُخرَى وحَضَارتِهَا، وعلَى رَأْسِها الفُرسُ، وفي المقابلِ تَحطُّ من شأنِ العربِ، ولهُ الكثيرُ منَ العتباتِ المَاجنةِ التي تَسْرِي في نَسِـــيجِ مَـــتنِ قَصَائدِهِ؛ لتَشِيَ بِشُعُوبِيَّتِهِ بوَجْهٍ أو آخَرَ:

رَاحَ الشَّـــقِيُّ عَلَـــى رَبْـــعٍ يُسَـــائِلُهُ وَرُحْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَّـــارَةِ البَلَـــدِ

لا يُرقِئُ اللَهُ عَينَي مَن بَكَـــى حَجَـــرًا وَلا شَفَى وَجَدَ مَنْ يَصْبُو إِلَى وَتَدِ

قَالُوا ذَكَرْتَ دِيَارَ الحَـــيِّ مِـــنْ أَسَـــدٍ لا دَرَّ دَرُّكَ قُلْ لِي مَنْ بَنُـــو أَسَـــدِ

وَمَنْ تَمِيمٌ وَمَــنْ قَــيْسٌ وَإِخْــوَتُهُم لَيْسَ الأَعَارِيبُ عِندَ اللَهِ مِنْ أَحَــدِ
دَعْ ذَا عَــدِمتُكَ وَاِشــرَبهَا مُعَتَّقَــةً صَفْرَاءَ تُعْتِقُ بَينَ المَاءِ وَالزَّبَدِ(١)

إِلَى أَنْ تأتِيَ عَتَبَةُ الخِتَامِ عَلَى هَذَا الوَجْهِ مِنَ الحِجَاجِ الــذي يُعْلِــنُ بــهِ اِنتِصَارَهُ، ونَجَاعةَ حُجَجِهِ؛ كمَا يُظَنُّ ويُعْتَقِدُ، ويُؤَسِّسُ:

لَوْ كَانَ لَوْمُكَ نُصْحًا كُنتُ أَقبَلُهُ لَكِنَّ لَومَكَ مَحْمُولٌ عَلَى الحَسَدِ(٢)

يَتَصَادَمُ أَبُو نُوَاسٍ مَعَ الأُسُسِ الاِجتِمَاعِيَّةِ الرَّاسخةِ التي تُمَجِّــدُ الــنَّمطَ الشِّعْرِيَّ القديمَ، مُنتقدًا تقليديَّةَ وَصفِ الأَطلالِ دون مشاهدتِها، مُتَّخِذًا منْ ذَلِــكَ دليلًا عَلَى رُكُودٍ فكريٍّ أَلمَّ بالثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ، ويُقارنُ ذَلِكَ بالحَضَارَةِ الفَارِسِــيَّةِ التي احتفتْ بالخَمرِ؛ بوصفِها رَمزًا للتَّجدُّدِ الحَضَاريِّ، وهُو أَمــرٌ مِحْــوريٌّ يُعارضُ بشدَّةٍ النَّزعةَ الثَّقَافِيَّةَ التي تَرومُ تَكرِيسَ البيئَةِ البدَوِيَّةِ ووقوفَ الشَّاعِرِ عَلَى الأَطلالِ، مُبديًا رفضًا قاطعًا لهَذَا التَّقليدِ، وفي كُلِّ ذَلِكَ يَــرفضُ" ثقَافــةَ النَّسَبِ والانتماءِ إلى القَبِيلَةِ بِشَكلٍ عامٍّ، لذَلِكَ فَهُو يَرفضُ أَنْ يَفْخرَ بانتِمائِهِ إلى القَبِيلَةِ؛ سواءٌ أكانتْ بني تميمٍ، أو بَنِي أسدٍ؛ لأَنَّهُ يرفضُ فِكرةَ الانتمــاءِ إلــى القَبِيلَةِ أصلًا، ويَجعلُ الأُخوَّةَ في الخَمْرِ، بَدِيلًا عن ذَلِكَ، بمعنَى أَنَّــهُ اســتبدلَ بأخوَّةِ النَّسبِ، الأُخوَّةَ في الشَّرابِ والمنادمَةِ"(٣)، وهو يُلِحُّ في ذلكَ منتقلًا مــن الهامشِ إلى المَتنِ، ومنَ الطَّرحِ إلَى القَضيَّةِ:

غــادِ المُــدَامَ وَإِن كانَــت مُحَرَّمَــةً فَلِلكَبــائِرِ عِنْــدَ اللَــهِ غُفْــرانُ
صَفْرَاءُ تَبنــي حَبابًــا كُلَّمــا مُزِجَــتْ كَأَنَّــهُ لُؤلُــؤٌ يَتْلُــوهُ عِقْيَــانُ
فَلَــمْ تَــزَلْ تَعجُــمُ الــدِّنيا وَتَعجُمُهــا حَتّــى تَخَيَّرَهَــا لِلخَــبْءِ دِهْقَــانُ

١- أبو نواس، ديوانه ٣/١٠٩-١١٠.

٢- السابق،٣/١١١.

٣- الحميريّ، خطاب الضد: ٦٣-٦٤.

بِبَلْـدَةٍ لَـمْ تَصِـلْ كَلْـبٌ بِهَـا طُنُبًـا إِلَـى خِبَـاءٍ وَلا عَـبْسٌ وَذُبْيَـانُ
لَيستْ لِـذُهْـلٍ ، ولا شَيبَانِها وَطَنًـا لكِنَّهَـا لبَنِـي الأَحْـرَارِ أَوْطَـانُ
أَرْضٌ تَبَنَّـى بِهَـا كِسْـرَى دَسَـاكِرَهُ فَمَا بِهَا مِنْ بَنِـي الرِّعنَـاءِ إِنْسَـانُ
وما بِهَا مِنْ مِشَـمِ العُـرْبِ عَرْفَجَـةٌ ولَا بِهَا مِنْ غِذَاءِ العُـرْبِ خُطْبَـانُ[1]

أبو نُواس، في شِعرِهِ السَّابقِ يَنسجُ عَلَاقةً بَينَ الخَمْرِ والثَّقَافَةِ الفَارِسِـيَّةِ، مُسْتَشْرفًا فِيهَا تَجسيدًا للتَّحرُّرِ والتَّنويرِ الذي بَدَا مُغيَّبًا في البيئَةِ العَرَبِيَّةِ، يُثمِّنُ في أَشْعارِهِ الفُرسَ، مُقَابِلًا إِيَّاهُم بالعَربِ ليكشِفَ مِنْ خِلَـالِ المُقارنَـةِ مُيولَـهُ الأدبيَّةَ التي تَنحازُ للفُرسِ وثقافتهم عَلَى حِسَابِ العرَبِ، فَشِـعرُهُ يتّخِـذُ مِـنَ المُواجَهَةِ أَسَاسًا إِذْ يَصْطَدِمُ بالمَورُوثِ الاجتماعِيِّ والثَّقَافِيِّ الذي يُعَظِمُ القَبِيلَـةَ والنَّسَبَ مُتهكِّمًا عَلَى الاعتزازِ القبليِّ العَرَبِيّ السَّائدِ، حتَّى علَّقَ يوسُف خليف عَلَى هَذَا الأمْرِ هكذَا" وأمثالُ هَذِهِ الأنْغَامِ الشُّعُوبِيَّةِ تَتردَّدُ في شِـعرِهِ بصُـورةٍ واسِعةٍ؛ وهيَ أنغامٌ لا تَدلُّ عَلَى حِقْدٍ عَلَى العَربِ بقَدرِ ما تَدُلُّ عَلَى إِعْجَـابٍ بالحَضَارَةِ الفَارسِيَّةِ، وما تُنْتجهُ منْ فُرَصِ اللَّهْوِ والشَّرابِ...ومِن أَجلِ ذَلِكَ كنّا نرَى في شُعُوبِيَّتِهِ لونًا مِنَ الشَّغبِ الشُّعُوبِيّ عَلَى العَربِ وحَضَارتِهِم أكثرَ مِنْها لونًا مِنَ العَقيدةِ السِّيَاسِيَّةِ أو الإيمانِ المَذْهبيّ"[2]؛ وهُو ما أَرَاهُ نَافِقًا مَـعَ مَـا ذَهبتُ إليهِ من كَونِهِ اكتئابًا شَخْصِيًّا، ونَزعَةً للتَّحَضُّرِ والتَّقدُّمِ والتَّحـرُّرِ فـي مُقابلِ سُلْطَةٍ سلَفِيَّةٍ رَجْعِيَّةٍ؛ كمَا يَرَاها النُّواسِيُّ في خِطَابِهِ السَّابقِ في عَتَبَـاتِ النُّصُوصِ ومُتُونِهَا، في خَمريَّاتِهِ خاصَّةً، وكأنّهُ اتّخذَ مِنَ الخَمْرِ مُجَرَّدَ رَمْـزٍ للثَّورَةِ.

١- أبو نواس، ديوانه ٣/٣٢٤.

٢- يراجع، خليف، يوسف، تاريخ الشِّعْر في العصر العباسي، ٧٣.

يُمكنُ القولُ إنَّ التَّبَايُنَ في مُعَامَلَةِ الخِلَافةِ العَبَّاسِيَّةِ لأبِي نُوَاسٍ، مُقارَنَةً بشَاعِرٍ اُتّهِمَ بالشُّعوبيَّةِ؛ كبشَّار بن بُردٍ، يَستنِدُ جُزئيًّا إلى الطَّبيعَةِ المتأصِّلةِ في شُعوبيَّتِهما، فأبُو نُوَاسٍ في شُعوبيَّتِهِ كانَ يَنطلِقُ مِنْ مَوقِعِ اللَّهْوِ والإعجابِ الذي لا يخلُو منَ المُجُونِ، وهُو ما عُدَّ نَوْعًا مِنَ التَّسليَةِ البَريئَةِ أو التَّحبُّبِ الثَّقَافِيِّ لا غيرَ، وبشَّارُ بنُ بُردٍ، في المُقابلِ، يُظهِرُ شُعوبيَّتَهُ مِن مُنْطَلَقِ الضَّغينةِ العميقَةِ والحِقدِ الذي لم يكنْ خافيًا علَى الخُلَفَاءِ؛ مِمَّا أَفْضَى في النِّهايةِ إلَى قَتلِهِ.

بالإضَافَةِ لِمَا سَبَقَ فأبُو نُوَاسٍ بمُجُونِهِ الصَّاخبِ، ومُيولِهِ الزَّندقيَّةِ، لم يكتَفِ بالتَّصَادُمِ مَعَ المَورُوثاتِ الثَّقَافِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ، بَلْ تَجَاوزَ ذَلِكَ إلَى الإثارةِ الدِّينِيَّةِ، وقدْ أَظْهَرَ هَذَا الخِطَابُ تَمرُّدَهُ وتَحدِّيَهُ للأَعْرَافِ الدِّينِيَّةِ، الأمرُ الذي يُسلِّطُ الضَّوءَ علَى زَندَقتِهِ المُثيرةِ للجَدَلِ.

٢/٣- العَلَامَةُ اللُّغَوِيَّةُ فِي الخَمْرِيَّاتِ:

إنَّ عناوينَ النُّواسيّ في خمريَّاتِهِ؛ كشأنِ عناوينِ القصائدِ، تؤثِّرُ سيميائيًّا، في العلاماتِ اللُّغويَّةِ؛ فيَتَضافرُ المُعْجمُ اللغويّ معَ العلَامةِ اللُّغويَّةِ الدَّالَّة في العُنوانِ[١]؛ مِمَّا يَسري في نَسيجِ المُعْجمِ اللُّغويّ للمَتنِ الشِّعْريّ؛ ليَصيرَ العُنْوانُ هُو التّجربةُ[٢]

عندَ تَقصِّي المُعجَمِ النُّواسِيِّ نَجدُ أبَانواسٍ يستنهضُ لغةً شعريَّةً تمتازُ بالدِّقَّةِ والانسيابيَّةِ، مُتخلِّيًا عن اللَّفظِ البدَوِيِّ الشَّائعِ في الشِّعرِ القديمِ، فالسَّلَاسةُ

١- يراجع، المغربيّ، حافظ، صدح العتبات..وبوح الدلالات(قراءة في نتاج أصوات شعريَّة خليجيَّة)، مؤسسة صهيل الأدبيَّة، القاهرة، ٢٠٢٢م،٧٣.

٢- يراجع، بلال، أحمد ، العنوان وبنية القصيدة في الشعر العربي المعاصر، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا، مصر،٢٠١٨م،٢١٥.

التي تطبعُ مُعجمَهُ تعكسُ النَّسيجَ الحَضَارِيَّ الذي تَغلغلَ في تَجربتِهِ الشِّعريَّةِ؛ ففي عصرِهِ انعدَمتْ مشقّةُ الحياةِ، وخُشُونةُ البيئَةِ التي كانتْ مُميَّزةً للعُصُورِ الماضِيَةِ، فيعبّرُ استخدامُهُ ألفاظًا واضحةً ومألوفةً عن مدَى تأثُّرِهِ بالأَجواءِ الحَضريَّةِ المترفةِ التي كانَ يَعيشُها، مُستشهِدًا في قصائدِهِ بالخَمرِ كصديقٍ مخلصٍ يبدِّدُ أتراحَهُ:

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فإنَّ اللَّوْمَ إغْرَاءُ ودَاوِني بالَّتي كانَتْ هيَ الدَّاءُ

صَفْراءُ لا تَنْزِلُ الأَحزانُ ساحَتَها لَوْ مَسَّها حَجَرٌ مَسَتْهُ سَرَّاءُ[١]

فالوضُوحُ والرقّةُ والسلاسَةُ هي صفاتٌ ملازمةٌ لوصْفِ الخَمْرِ، ووصْفِ كؤُوسِها ومَجالِسِهَا؛ فيقولُ في نسيجِ المتنِ بطريقتِهِ السَّرديَّةِ:

فأرْسَلَتْ مِنْ فَمِ الإبْرِيقِ صَافِيَةً كأنَّمَا أَخَذَها بالعَينِ إغْفَاءُ

رقَّتْ عَنِ المَاءِ حتَّى ما يُلَائمُها لَطَافَةٌ، وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا المَاءُ[٢]

تتميَّزُ أبياتهُ بلغةٍ شِعريَّةٍ تتَّسِمُ بالوضُوحِ والانسيابيَّةِ؛ إذْ يبرعُ في استخدامِ الألفاظِ السَّهلةِ لتشكيلِ صُورٍ فنيَّةٍ مُحكَمةٍ، لا تَقِلُّ إبداعًا عنِ الصُّورِ الشِّعريَّةِ التقليديَّةِ، يَرتقِي بالخَمرةِ في تَصويرِها بالدَّوَاءِ الشَّافِي منَ الأَسقامِ، مُسْبِغًا عليها سماتٍ تَرفَعُها فوقَ الكلامِ المُجرَّدِ؛ فَيصِفُ تقطُّرَها مِنَ الإبريقِ بحساسيَّةٍ فائقةٍ، مُعليًا شأنَها حتَّى تَتفوَّقَ صَفَاءً على الماءِ، مُضفيًا عليها صَفاءً يُضَاهِي النُّورَ ويزيدُهُ إشراقًا.

وفي تَغزُّلِهِ بالخَمرِ يُلبسُها أبو نُواسٍ صِفَاتِ الأُنْثَى حتَّى يُوحِيَ للمُتلقِّي بأنَّها كيانٌ أنثويٌّ، مُعبّرًا عنْ علَاقتِهِ الشَّخصيَّةِ بها والمكانةِ التي تَحتلُّها في

١- أبو نواس، ديوانه،٣/٢-٣.

٢- السابق ،٣/٣.

وِجدَانِهِ، بالإضَافَةِ إلى تجسيدِ الذَّوقِ الاجتماعِيِّ الرَّاقِي السَّائدِ في بيئتِهِ الثَّقافيَّةِ، في عَتَبَتَي البِدَايةِ والنِّهايةِ، وفي مَتنِها:

يـــا لَيلَـــةً طَـــابَ لِـــي بِهَـــا الأَرَقُ ... حَتّى بَـدَا مِـن صَـبَاحِها الفَلَـقُ
نُسْـقَى سُـلَافًا مِـن بِنْـتِ دَسـكَرَةٍ ... مـــا شَـــابَهَا فـــي دِنانِهَـــا الرِّنَـــقُ
اِختارَهـــا فـــي القِطَـــافِ سَـــائِمُها ... حُمْـــرًا وَسُـــودًا كَأَنَّهـــا الحَـــدَقُ
حَتَّـــى إِذَا فِـــي الحِيَـــاضِ صَـــيَّرَها ... خَالَطَهـــا الزَّعفَـــرَانُ وَالعَلَـــقُ
يُسـقَونَ مِـن قَهْـوَةٍ مُعَتَّقَـةٍ ... لَهَـا دَبِيـبٌ فِـي المُـخِّ يَسـتَبِقُ
كَأَنَّهَـــا وَالمِـــزَاجُ يَقرَعُهَـــا ... شِهَابُ نَـارٍ فِـي الجَـوِّ يَحتَـرِقُ
كَأَنَّمَـــا حَـــفَّ مِـــنْ قَرَاقِرِهَـــا ... بِطَوقِهَـــا جِلْـــدُ حَيَّـــةٍ يَقَـــقُ
فِـي مَجلِـسٍ لَـيسَ فِيـهِ فَاحِشَـةٌ ... إِلَّـــا حَـــدِيثٌ وَمَنطِـــقٌ أَنِـــقُ[1]

تَتطقُ القصائدُ النُّواسيَّةُ بالوضُوحِ والسَّلَاسة، وإذا ما أجريْنا مقارنةً بينَها وبينَ شِعْرِ الأُدباءِ القُدَامَى، يبرزُ التَّباينَ في البَسَاطَةِ والوُضُوحِ، فيتّجـهُ أبـو نُواسٍ في اِختِيارِهِ اللُّغويّ نحوَ اللُّغَةِ اليوميَّةِ البَسِيطَةِ، مُتجنِّبًا الجَزَالَةَ البدويَّةَ؛ إنَّ استعمالَهُ لألفاظٍ يوميَّةٍ يشكِّل ثَورةً على المُعجمِ الشِّعريِّ القديمِ، ويؤسِّسُ لمنهجٍ لغويٍّ جديدٍ، ينسَجمُ معَ رُوحِ عَصرِهِ.

يُمكنُ القولُ إنَّ لغَتَهُ تَتَحرَّرُ منَ الغُمُوضِ والفَظَاظَةِ التي طَبعَتْ أَشْعارَ سَلَفِهِ منَ الشُّعَراءِ، وتَبتَعِدُ، كذلكَ، "عَنِ التَّكلُّفِ والابتِكَارِ اللُّغَويّ الذي اُشتُهِرَ بِهِ الشُّعَراءُ المُعاصِرُونَ لهُ؛ كأبي تمَّامٍ، ومَعَ ذلكَ لا تَخلُو لُغتُهُ منْ تأثيراتٍ فَلسفيَّةٍ مَحدودَةٍ تَتَلَاءَمُ معَ طبيعةِ خطابِهِ الخمريِّ الفريدِ.

١- أبو نواس، ديوانه ٢١٨/٣.

وعِندَ مُلَاحظةِ العَلَامَاتِ اللُّغويَّةِ لخَمريَّاتِ أبِي نُواسٍ يُمكنُنا التَّركيزُ على أهمّ هذِهِ العَلَامَاتِ التي ميزت الخمريَّاتِ وكشفتْ موقفهُ من خِلالِهـا؛ أعنِـي التَّكرَارَ.

شكَّلَ التَّكرارُ علَامةً بارزةً في الخَمريَّاتِ سَوَاءٌ علَى المُستوَى الحَرفيّ، واللَّفظِيّ، والمَعْنويّ؛ فالتَّكْرارُ علَامةٌ لُغويَّةٌ تَعكِسُ مَوقفًا شُـعُوريًّا اِنفِعاليًّـا، تشكِّل لبنةً أساسيًّا في القَصيدِ؛ لذا يَنبغِي ألّا نَنظُرَ إليهِ خارجَ السِّياق[١].

ومن ثَمّ ؛ فلابدَّ من ربطِ التَّكرارِ بالسِّياق للوصولِ إلى الدَّلالةِ؛ يقـولُ أبو نُواسٍ:

لا تَبـكِ بَعـدَ تَفَـرُّقِ الخُلَطَـاءِ وَاِكسِر بِمائكَ سَـورَةَ الصَّـهباءِ
فَـإذا رَأَيـتَ خُضُـوعَها لِمزَاجِهَـا فَمُـرنْ يَـدَيكَ بِعِفَّـةٍ وَحَيَـاءِ
وَمُدامَـةٍ سَـجَدَ المُلُـوكَ لِـذِكْرِها جَلَّتْ عَنِ التّصْـرِيحِ بِالأَسْـمَاءِ[٢]

وقوله:

وَمُدامَـةٍ سَـجَدَ المُلُـوكُ لَهَـا باكَرتُهَـا وَالـدِّيكُ قَـدْ صَـدَحا[٣]

وقوله:

وَقَهوَةٍ مِثلُ عَينِ الـدِّيكِ صَـافِيَةٌ مِنْ خَمْرِ عَانَةَ أَو مِنْ خَمْرَةِ السِّيَبِ[٤]

نَلْحظُ، هُنا تكرارَ حَرْفِ العَطْفِ "الواو" تكرارًا بـارزًا؛ مِمَّـا يعكـسُ استخدامَها بِمَعنَى "واو القَسَم"، وهُوَ ما يَتَنَاغَمُ معَ التَّبجيلِ الذي يُكنُّهُ الشَّـاعِرُ للخَمرِ، يُعلِي الشَّاعرُ منْ شأنِ الخَمرِ بِرَبطِهَا بمُفرَداتٍ ذاتِ دَلالَاتٍ رُوحيَّـةٍ؛

١- يراجع، ربابعة، موسى، التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية، مجلة مؤتـة للبحـوث والدراسات، ع١، ١٩٩٠م، ١٦٠.

٢- أبو نواس، ديوانه،٣/١٠.

٣- السابق،٣/٨٠.

٤- السابق،٣/٥١.

كالأفعالِ: "سَجَدَ" و"جَلَّت"، ويزيدُ من قُدسيَّةِ الخَمرِ في شعرهِ بوصْفِها مصدرَ النُّورِ الصَّافِي، مُستخدمًا هذهِ التَّراكيبَ اللَّافِتةَ؛ كـ"ضَوؤُهَا مِصْبَاحُ" و"قَهوَةٌ صَافِيَةٌ"؛ مِمَّا يَجعلُ الخَمرَ في مرتبةِ الإلهِ في ديانةِ شِعريَّةٍ خاصَّةٍ بهِ. يكادُ أبُو نُواسٍ يَجعَلُ منَ الخَمرِ آلهَةً بديلةً تُعادلُ في قدسيّتها الإلهَ الأعلَى، وذلكَ مِن خلالِ علَاقتهِ المَتينةِ معَ الخمرِ التي رافقتْهُ علَى مدَى حياتِهِ؛ فهُو يَسعَى إلى النَّشوةِ الخَمريَّةِ تعويضًا عنِ النَّشوةِ الرُّوحيَّةِ التي يفتقدُها بسببِ تحلُّله منَ الالتزاماتِ الدِّينيَّةِ.

ومن ثمَّ؛ لم يعفهِ بعضُ النُّقَّادِ من الجرأة الدِّينيَّةِ، والوقُوعِ في الكبائرِ التي نهى الدِّينُ الإسلاميُّ الحنيفُ عنها، وإن حملَ شعرهُ آلامًا خاصَّةً، ورغبةً في التّنفيسِ بالتَمرُّدِ(١).

وتَظهَرُ "واو القسمِ" أيضًا مُتَرافِقةً معَ مُصطَلَحاتٍ تَنتمِي إلى المُعجَمِ الخَمريِّ النُّواسِيّ كـ"خَمَّار" و"خَمَّارَة"، مُشِيرةً إلَى الارتِباطِ النَّفسِيّ العَمِيقِ للشَّاعرِ بالخَمْرِ وكُلّ ما يَتعلَّقُ بها؛ إذْ يَجِدُ في عالَمِ الخَمرِ والخَمَّارينَ ملَاذَهُ منَ الأعباءِ الحياتيَّةِ، ويُستشفُّ فيه بيئةُ الاسترخاءِ والسَّلامِ التي يتوقُ إليهَا؛ فيقولُ في عتبةِ بدايةِ خمريَّةٍ:

وَخَمَّـارٍ حَطَطْـتُ إِلَيـهِ لَيلًـا قَلائِصَ قَد وُنِينَ مِـنَ السِّـفَارِ(٢)

ويقُولُ في عَتبَةِ البدايَةِ لخَمريّةٍ أُخرى:

وَخَمَّـارٍ أَنَخْـتُ إِلَيـهِ رَحلِـي إِناخَـةَ قَـاطِنٍ وَاللّيـلُ دَاجِ(٣)

١- يراجع، عمر، مصطفى، بحوث في النقد الأدبي،دار المعارف، القاهرة،١٩٨٧م،٤٧٢.

٢- أبو نواس، ديوانه،١٣٧/٣.

٣- السابق،٧٣/٣.

فالخَمَّارُ هُو مَوطِنُ الأَمانِ الذي يَبحَثُ عنهُ، معبِّرًا عن ذلكَ بـــالجُملتينِ المُتَرادِفَتينِ:" حَطَطْتُ، أَنَخْتُ" من باب تكرارٌ مَعنَويٌّ واضِحٌ.

ونَجِدُهُ، أيضًا، يُكَرِّرُ اِستِخْدَامَ (الوَاو) معَ مَجالسِ الشَّرَابِ واللَّهوِ؛ فَيَقُولُ في عتبةِ البدايةِ لخمريَّةٍ من خمريَّاتِهِ:

وَمَجْلِسِ خَمَّارٍ إِلَى جَنْـــبِ حَانَـــةٍ بِقُطْرَبُّلٍ بَينَ الجِنانِ الحَدَائِقِ[١]

وفي أُخْرى:

وَمَجْلِسِ فِتْيَةٍ طَـــابُوا وَطَابَـــتْ مَجالِسُهُم وَطَابَ بِهَا النَّعـــيمُ[٢]

اِرتَبطَتِ الواوُ، هُنَا، بالمَجلسِ الخَمريّ وما يشكِّلُهُ مـــنْ طيـــبِ نفـــسٍ، والدَّليلُ على ذلكَ تَكرارُ الأَفعالِ: "طَابُوا وَطَابَتْ، وَطَابَ" كنايةً عَـــنِ الحَيـــاةِ الطَّيِّبةِ التي يَجدُها في المَجَالسِ الخَمْريَّةِ.

ومِن خِلَالِ هذه العَلَاماتِ اللُّغَويَّةِ نَجِدُ "الوَاوَ" مُصَاحبةً للشَّاعِرِ في وَصْفِهِ الخَمْرَ ومَجالسَهَا، فَصَاحبتهُ الواوُ خِلَالَ مَسِيرتهِ الشِّعريَّةِ، ووَصْفِهِ الخَمرَ مَـــعَ الخَمْرِ، والخَمَّارِ، ومَكانِ الخَمْرِ(المَجلِس) ، وفِتيَان الخَمْرِ، وصَاحِبِ الخَمْـــرِ؛ فيقولُ في عَتبةِ مَطلَعٍ خمريٍّ:

وَنَدْمَانِ صِدْقٍ بَلْ يَزِيدُ فُكَاهَـــةً عَلَى الصِّدْقِ لَمْ يَخْلِطْ مُوَاتاتَـــهُ مَحْكَـــا[٣]

فيقولُ في عَتبةِ مَطلَعٍ خمريٍّ آخَرَ:

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ صَرَفتُ مَطِـــيَّهُم إِلَى بَيْتِ خَمَّارٍ نَزَلْنَا بِـــهِ ظُهْـــرَا [٤]

١- أبو نواس، ديوانه ،٣/٢٢٠.

٢- السابق،٣/٢٩٠.

٣- السابق،٣/٢٢٤.

٤- السابق،٣/١٣٠.

دلّت هَذهِ العلَاماتُ اللُّغَويَّةُ في خِطَابِ أبي نُواسٍ الخَمريّ على استثمارِهِ تَكرارَ حَرفِ العَطْفِ "الواو"، والإفراطَ في هذا التّكرارِ إمعانًا في تمريرِ رسالتِهِ، ليسَ بوصْفِهِ رابطًا، بل وسيلةً لتعزيزِ المعنَى؛ إذْ عكسَ تَكرارُهُ معَ دوالّ أُخرى؛ كـ:" نَدْمَانِ" و"فِتْيَةٍ " وفِتْيَانِ" التَّقديسَ الذي يحملهُ للعالمِ الخمريِّ بأسرِهِ؛ فليستِ الخَمرُ وَحدَها موضعَ تَبجيلٍ في شِعرِهِ، بلْ امتدَّ هذا التَّقديسُ إلى كُلِّ ما يرتبطُ بها من رفاقٍ وأجواءٍ ينسبُ أبو نواسٍ إليهَا صفاتِ الجمالِ والنَّقاءِ والصَّفاءِ التي ينسبُها للخَمْرِ.

ويثيرُ هذا التَّكرارُ "الواويُّ" الانتباهَ، ويُحرِّضُ المُتَلَقِّي على استكشافِ دلَالاتِهِ الأعمق؛ فتأتِي "الواوُ" لتشيرَ إلى الإعلَاءِ والتقديسِ لعالمِ الخَمرِ؛ أعنِي عالمَ أبِي نُواسٍ الذي وجدَ فيه نفسَهُ وهُويَّتَه. وفي المُقابلِ، نَجدهُ يُظهرُ تقليلًا لأهميَّةِ العالمِ الواقعِيِّ الذي يُفرضُ عليه الالتزاماتِ الدِّينيَّةَ والاجتِمَاعِيَّةَ.

وأمَّا العَلَامةُ اللُّغَويَّةُ الخَاصَّةُ بِتَكْرارِهِ الأَفْعالَ، فتُعدُّ تأكيدًا على الوجُودِ والتَّأصيلِ للذَّاتِ؛ أعني تلكَ الذَّاتَ التي غَالبًا ما تُوَاجَهُ بالإنكَارِ في العالمِ المُقابلِ لعالمِ اللَّذَّةِ والتَّحرُّرِ؛ فنلحظُ تكرارَهُ الأَفعَالَ علَامةً علَى الفاعليَّةِ والحُضُورِ، ويبرزُ الأمرُ في شعرِهِ بوصفهِ عُنصرًا مُهيْمِنًا، ربَّما يُعزى هذا إلى البيئَةِ التي نَشأَ فيها أبُو نواسٍ؛ أعني بيئةَ المُعارَضَةِ؛ لأنّها بيئةُ رفضٍ لكلِّ ما هو تقليديٌّ ومُتمرِّدٌ على كلِّ قيْدٍ، سواءٌ أكانتِ اجتماعيَّةً أو سياسيَّةً أو دينيَّةً.

ونراهُ يستخدمُ أفعالَ الأمرِ علامةً على التَّحَرُّرِ، ويُؤَكِّد من خِلَالِها أنَّهُ القائدُ الذي يأمرُ ولا يُؤمَرُ، مُؤكّدًا بذلكَ استقلاليَّتَهُ وريادتَهُ فيقُولُ في عَتَبَةِ مَطْلَعِ خمْريَّةٍ لهُ:

هَاتِ مِنَ الـــرَّاحِ فَاسـقِنِي الرَّاحَـــا أَمَا تَرى الدِّيكَ كَيْفَ قَـدْ صَـاحَا
فَاستَعْمِلِ الكَـأسَ وَاسـقِنِي بِكْـرًا إِنِّي إِلَيهَـا أَصْـبَحتُ مُرْتَاحَـا[1]

ويَقُولُ في عَتَبةِ مَطْلَعِ خمْريَّةٍ أُخرى:

بَـــاكِرِ اليَـــوْمَ الصَّـــبُوحَا وَاِعــصِ فـــي الخَمْــرِ النّصِــيحَا
وَاِســـقِنيهَا مِـــنْ عُقَـــارٍ عَهِـــدَتْ فـــي الفُلْـــكِ نُوحَـــا[2]

تشيعُ في هذهِ العلاماتِ اللُّغويَّة في عَتبَاتِ المَطَالعِ التي بَدَأها أبو نواس بأفعالِ الأَمرِ؛ كـ"هاتِ"، "اِسقِني"، "اِستَعملْ"، "اِعْصِ"، التـــي تَتجَلَّـــى فِيهَـــا الرَّغْبَةُ العارِمَةُ للتَّمَرُّدِ، ورفْضِ الخُضُوعِ لأيَّةِ سُلْطَةٍ.

ونَلْحَظُ أَنَّهُ لا يَتوجَّهُ بهذَا الاستِخدامِ الآمِرِ إلى مُتلقٍ مُحدَّدٍ؛ بلْ يَبدُو كَأَنَّهُ يَصْدَحُ في فَضَاءِ العُمُومِيَّةِ، مُوجّهًا لأيّ حاضِـرٍ فـــي مَجَـــالسِ الخَمْـــرِ؛ إِذْ أصبحَتْ هذهِ الأَفْعَالُ جُزءًا منَ الرَّتابةِ المألُوفَةِ في تلكَ المَحَافلِ، وربَّما كـــانَ الخِطَابُ مُوَجَّهًا إلى الذَّاتِ الشَّاعريَّةِ ذاتِهَا، التي تَحْتَلُّ مَركَزَ الصَّـــدَارَةِ فـــي عَتَباتِ خَمريَّاتِهِ؛ علَامةً علَى شَخصيَّةٍ تَتَّسِمُ بالحُضُورِ الطَّاغِي الذي يُحـــاكِي الوَاقِعِيَّةِ.

بيدَ أنَّ هذه الأَمْريَّةَ ليستْ مُجرَّدَةً مِنَ النَّهْيِ؛ فهيَ تَتضَمَّنُ فـــي طيَّاتِهـــا رَفْضًا للسِّيَاقَاتِ القَمْعِيَّةِ، ودَعوةً للتَّحرُّرِ والانعِتاقِ، ومِن خِلَالِ هذا السِّجالِ بينَ الأمرِ والنَّهي، ينسجُ النُّواسِيُّ نسيجًا شعريًّا يعبِّرُ عن تَوقهِ إلى الحُرِّيَّةِ والمُتعةِ بَعِيدًا عنِ القيُودِ الأخلاقيَّةِ والاجتماعيَّةِ، مُستخدمًا الخطابَ الخمـــريَّ مِسَـــاحَةً للتَّعبيرِ عَنِ الذَّاتِ وتجليَّاتِهَا؛ فيقول في عتبةِ ختامِ خمريَّةٍ من خمريَّاتِهِ:

لَا تَصْحَبَنَّ اللَّـــذَّاتِ مُكتَتِمًـــا وَاِغدُ إِلَيهـــا كَخَـــالِعِ الرَّسَـــنِ[3]

١- أبو نواس، ديوانه ،٨٨/٣.
٢- السابق،٩٦/٣.
٣- السابق،٣٥١/٣.

هَكَذَا يَدْعُو النُّواسِيُّ إلى شُرْبِ الخَمرِ والمُجَاهَرةِ بشُربها، فهِيَ الوَسيلةُ لزوالِ الهُمومِ التي تَعترِي الشَّخصَ، ويَنهَى عنِ الاستِسلَامِ للزّمَانِ، وإخفاءِ شُربِ الخَمرِ.

ولا يَعنِي حُضورُ فِعلِ الأمرِ، عدَمَ حُضُورِ باقِي الأفعَالِ؛ ولكنْ جاءَ تَرْكِزِي على أفعالِ الأمرِ لما شكَّلَتْهُ منْ علامةٍ لغويَّةٍ، تُمثِّلُ ظَاهِرةً ملمُوسةً في الخِطابِ النُّواسِيّ.

ومِمَّا يشكّلُ علامةً مُتَكَرِّرَةً عندَ أبِي نُواسٍ المَكَانُ؛ إذْ يظهَرُ مِحْوَرًا مركزيًّا يتجدّدُ بشَكلٍ لَافِتٍ؛ ممَّا يؤكِّدُ الصِّلَةَ العَمِيقةَ التي نسَجَها بينَ ذاتِهِ وأماكنِ اللَّذَّةِ والمُتعَةِ. تتَمثَّلُ هذه الأماكنُ في الخمريَّاتِ؛ بوَصْفِها فَضَاءَاتٍ مِثَاليَّةً، تُعيدُ تَشْكِيلَ وُجُودِهِ وكَينُونَتِهِ الشُّعوريَّةِ والفكريَّةِ؛ فالمكانُ في عتَباتِ خمريَّاتِهِ ليس مجرَّدَ خلفيَّةٍ جغرافِيَّةٍ، بلْ بوتقةً تتَّحِدُ فيها عنَاصِرُ الجمَالِ والنَّشوَةِ والحُبِّ، مُوفّرًا للشَّاعرِ ذلكَ الشُّعُورَ بالكمالِ والانتِماءِ الذي يَسْعَى إليهِ؛ كما نجدُ في هذهِ العتبةِ التي تقعُ موقِعَ العُنوَانِ:

وَمَجْلِسٍ مَا لَهُ شَبِيهٌ ... حَلَّ بِهِ الحُسْنُ وَالجَمَالُ
يَمْطُرُ فِيهِ السُّرُورُ سَحًّا ... بِدِيمَةٍ مَا لَهَا انتِقَالُ
نَشْرَبُها بِالكِبَارِ صِرْفًا ... وَلَيْسَ فِي شُرْبِنا مِطَالُ[1]

فَهُو يَصِفُ مَجْلِسَ الشَّرَابِ، ويَرَى فيه المَكَانَ الذي يشعرُ فيه بالسُّرُورِ والرَّاحةِ، حتَّى خَالَ السَّعادةَ والسُّرُورَ المنتشِرِينَ في هذَا المَكَانِ ديمَةً تُمْطِرُ باستِمرارٍ، وتَنشِرُ مَشَاعِرَ الفرَحِ والنَّشْوَةِ، فالمكَانُ الخَمريُّ عِندَ أَبِي نواسٍ مكَانٌ لتَحقِيقِ الذَّاتِ، لا يَرَى ذاتَهُ إلَّا مِن خِلَالِهِ، ولا يَرَى المَكَانَ إلَّا مِن خِلَالِ الخَمرِ.

١- أبو نواس، ديوانه ٣/٢٤٩.

وهكذَا نجدُه كَثيرًا ما يَعمَدُ إلى التّكرارِ في خِطَابِـهِ الخَمـريِّ، وهـذا التَّكْرارُ وإن كانَ لهُ قِيمتُهُ الجمَاليَّةُ فقَدِ اِرتبطَ بدَلالاتٍ لها صِلَةٌ وثيقةٌ بعـالمَي أبي نواسٍ الدَّاخليّ والخَارجيِّ؛ كَمَا أَوضَحْنا، والتَّكرارُ هنا يقفُ بمِثَابةِ العَلَامةِ اللُّغويَّةِ ليستَ بالجديدةِ، ولكِنَّ الجَديدَ في الأَمْرِ هُو توظيفُ هذه العلَامةِ بشـكلٍ يقدِّمُ الرُّؤيَةَ التي تَتضَافرُ مَعَ الموقفِ الشِّعريِّ النُّواسيّ لخدمةِ الرُّؤيَةِ الخَمريَّةِ في رمزيّتها الجامعةِ لكلّ ما سبقَ.

الخَاتِمَةُ:

سَعَتْ هذِهِ الدِّرَاسَةُ نَحْوَ قِرَاءَةٍ تَأْوِيلِيَّةٍ لكَشفِ المَستُورِ، وَإظهارِ الخَفِـيّ، وفَضْحِ المَسكُوتِ عَنهُ لمُقَارِبَةِ العَتَبَاتِ النَّصِّيَّةِ لخمريّاتِ أبي نُوَاسٍ، بقِـرَاءَة دَالِّ الخَمْرِ في المُجلَّدِ الثَّالِثِ الذي أفرَدَهُ ڤاغنر؛ مُسْتَفِيدةً مِن مُعْطَيَاتِ المَـنهَجِ الإنشَائِيِّ التي أَرسَاها جيرار جينيت، تعاضُدًا معَ آليَّاتِ التأويـلِ السِّـيمْيَائِيَّةِ؛ فيما أَرْساهُ دي سوسير، وبيرس فَضْلًا عَن آليَّاتِ إيكو، مِنْ مَفَاهِيمِ السِّيمْيَائِيَّةِ التَأْوِيلِيَّةِ؛ في محاولَةٍ لمَلءِ بَياضِ هذا النَّصِّ المُغرِي وتَفكِيكِهِ.

وقدِ انتهتِ الدِّرَاسَةُ إلى مجموعةٍ منَ النّتائجِ؛ منها:

١- كانَ لأبِي نُوَاسٍ القدَحُ المُعَلَّى في تَطويرِ الخمريّاتِ، ومَزْجِهَـا بـاللَّهْوِ، والمُجُونِ، والفُكاهَةِ، واللّذَّةِ المُفرِطَةِ، والمُغَامَرَاتِ، وكَثِيرٍ من الأحاسـيسِ والمُمارساتِ الحياتيَّةِ حتّى صارَ شِعَارُهُ :الحَياةُ خَمْرٌ، والخَمْرُ حَيَاةٌ.

٢- ظلَّت شخصيّةُ أبي نُوَاسٍ مُرتبِطَةً بالخَمريَّاتِ لِمَا أَضفَاها عليهَا، وعلَـى مَجَالِسِهَا ودَلالاتِها من فُيُوضَاتِ المَعَانِي التي اختصَّ بها.

٣- نَادَى النّواسيُّ عَلَانيةً بالابتِعَادِ عنِ العَلَاماتِ الطَّلليَّةِ، داعيًا إلى التَّحوُّلِ إلى علَامةٍ جديدةٍ تَحلُّ مَحلَّها؛ جَعَلها بِمَثابةِ عُناوينِ لخَمْرِيَّاتِهِ، بما مثّلَ مرحلةً جديدةً أَلْقتْ بكلّ تغيُّراتِها علَى الشِّعْرِ العَرَبيِّ، بمـا عَكَسَـتهُ مـن روحٍ عصريَّةٍ تختلفُ عمَّا هو مألوفٌ.

٤- جاءت عناوينِ الخَمريَّاتِ صَادِمَةً للمُتَلَقِّي؛ لأنَّها تَقُومُ علَى تقنيتي: المَحوِ والإثباتِ، مَحوِ الطّلَلِ؛ لكَونهِ بلَاغةً الحمقَـى الـذين حُرِمُـوا الجَمَـالَ المُعاصِرِ، وإثباتِ بَلَاغَةٍ جَدِيدةٍ، تَتَفَنَّنُ في وَصْفِ الخَمْرِ.

٥- أجابتِ الدّراسةُ عن الأسئلةِ الخاصَّةِ بماهيَّةِ المَحوِ والإثباتِ؟ ولِم سنَّها؟ وما كيفيَّتُهُ في ذلكَ؟ وما مرادهُ من هذا التَّغييرِ ؟ وما سِرُّ تفرُّدِهِ عَنِ الشُّعراءِ السَّابقِينَ، وتَمَرُّدِهِ علَى بنيةِ القصيدَةِ الموروثَةِ؟

٦- عمدَ النُّواسيّ إلى الإفْراطِ في العناوينِ الخَمْريَّةِ؛ ليتّخذَ منها فلسفةً، ورمزيّةً ينادي من خلالها بكلّ قناعاتهِ العامَّةِ السّيَاسيَّةِ والدّينيَّةِ والاجتماعيَّة والثّقافيَّةِ، وما يسيطرُ على نفسيّتهِ الخاصَّةِ.

٧- رأتِ الباحثةُ أنّ الاكتئابَ هو الأقربُ للتّصوُّرِ فيما يخصُّ عُقدَهُ، وأمراضَهُ النّفسيَّةَ التي بثّ فيها همومهُ الذّاتيَّةَ من خلالِ عتباتِ خمريّاتهِ.

٨- وقفتِ الباحثةُ أمام عتباتِ البدءِ والختَامِ؛ فوجدتْهُ يوظّفها توظيفًا لا فتًا في تقنيتهِ الخاصَّةِ، التي نعتُّها بالمَحوِ والاستِبدَالِ؛ فكما ينطَوِي عَناوينُ خَمريَّاتهِ علَى أيقُوناتٍ تُسْهِمُ في الوُلُوج إلى مبتغاهُ، تَأتِي عَتبةُ الخاتمةِ لِتُحدِثَ بفَواتِحِها الإنْشائيَّةِ إغراءً، أو تنبيهًا، أو تَحريضًا، يؤسّسُ لخطابهِ، ويبقيهِ حيًّا لدى المتلقّي بوصفهِ دعوةً وثورةً.

٩- عكَسَتِ الثُّنائيَّاتُ الضِّدِّيَّةُ تَمَرُّدَهُ في عتباتهِ، نَزعَةَ الخُرُوجِ عن إطارِ الشِّعرِ العربيِّ التَّقليديِّ المبنيِّ علَى الاحتِذَاءِ والإعَادةِ، ورَفْضَهُ الصَّريحَ للقواعدِ المحاصرةِ للإبدَاعِ.

١٠- رأتِ الباحثةُ أنَّ دَعوةَ أَبِي نُوَاسٍ التَّجديديَّةَ في الخَمريَّاتِ صَادِرةُ عنِ صِدْقِهِ الفَنِّيِّ، الذي بَحثَ عنهُ؛ لأنَّهُ عَاشَ عَصرًا يَخْتلِفُ عمَّا سبقهُ منْ عُصُورٍ أكثر ممَّا تنَاقلهُ النّقَّادُ من الشّعوبيَّةِ، والزّندقةِ، والمجونِ.

١١- رأتِ الباحثةُ أنَّ مَوقفَهُ في الخمريَّاتِ يمثّلُ سُلْطَةً في مُقَابلِ السُّلْطَةِ، بتَصْديرِ عُنوَانِ قَصِيدَتهِ بالإنشَاءِ الأَمْريِّ الذي يمزجُ فيه السُّلْطَةَ بالإغْوَاءِ والإغْرَاءِ.

١٢- تراوحتْ تَأْويلَاتِ دوالّ الخَمْرِ في عتباتِ النّواسِيّ بَينَ ثَقافَةِ العَصْرِ ونُزُوعِ الذّاتِ.

١٣- لاحظتِ الباحثةُ أنَّ النُّواسِيَّ في خَمْرِيَّاتِهِ حقَّقَ وَحْدةً عُضْوِيَّةً وَموضوعيَّةً جَدِيدَةً؛ إذ خَصَّصَ قَصَائِدَ بأَكملِهَا الخَمْرِيّ؛ ليَصيرَ مَشرُوعًا إبداعيًّا وثقافِيًّا.

١٤- وَعِندَ مُحاولةِ الباحثةِ تأويلِ عَتَباتِ الخِطَابِ الخَمْرِيّ النُوَاسِيِّ، وَجَدتهُ خطابَ مُجُونٍ ولَهْوٍ علَى المُسْتوَى الذّاتِيّ الشَّخْصِيِّ في بنيتِهِ السَّطحيَّةِ؛ ومِن جِهةٍ أُخرَى فإنّهُ خِطَابٌ ضِدَّ المُمَارَسَاتِ السُّلطويّةِ التي لا يتَّفِقُ معَها النُوَاسِيُّ في بنيتهِ العميقَةِ.

١٥- أسَّسَ التَّحوُّلُ الجريءُ لخطابِ عتباتِ الخمريَّاتِ لانقلَابٍ في الفَنِّ والسِّياسَةِ، والصّدام مع كلّ ما كانَ تابو(Taboo) في المجتمعِ العبَّاسِيِّ.

١٦- أثَّرَت عناوينُ النُّواسيّ في خمريَّاتِهِ سيميائيًّا، في العلاماتِ اللَّغويَّةِ؛ فتَضافرَ المُعْجمُ اللغويُّ معَ العلَاماتِ اللُّغويَّةِ الدَّالَّة في العناوينِ، بل سَرَى في نَسيجِ المُعْجمِ اللُّغويّ للمَتنِ الشِّعْريّ؛ حتّى غدَا العُنْوانُ هُو التّجرِبةَ بكلّ ما تحملهُ من خاصٍّ وعامّ.

أوَّلًا : المَصَادِرُ:

- أبونوُاس، الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس الحسن بن هـانئ الحكمـيّ، تحقيق: إيڤالد ڤاغنر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،٢٠٠٠م.

ثانياً: المَراجِعُ:

- أدونيس، علـي أحمـد سـعيد، الثابـت والمتحـول، ط٣، دار العـودة، بيروت،١٩٨٢م.
- إسماعيل، عزّ الدّين، في الأدب العباسيّ الرّؤية والفنّ، في الأدب العباسيّ الرؤية والفنّ، دار النهضة العربية، بيروت١٩٧٥م.
- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبـراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- بلال، أحمد ، العنوان وبنية القصيدة في الشّعر العربـيّ المعاصـر، دار النَّابغة للنَّشر والتوزيع، طنطا، مصر،٢٠١٨م.
- بنيس، محمَّد ، الشِّعر العربيّ الحديث(بنياتـه، وإبدالاتـه التَّقليديَّة)،الـدَّار البيضاء، دار توبقال للنَّشر والتَّوزيع، ١٩٨٩م.
- حافظ، صدح العتبات..وبوح الدلالات(قراءة في نتاج أصـوات شـعريَّة خليجيَّة)، مؤسسة صهيل الأدبيَّة، القاهرة، ٢٠٢٢م.
- حسين، طه، حديث الأربعاء،ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- حفني، عبدالحليم، مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.
- حَمْداويّ، جميل، السِّيموطيقا والعَنونة، مجلَّـة عـالم الفِكـر، الكويـت، المجلد٢٥، العدد٣، ١٩٩٧م.

- حَمْداويّ، جميل، شعرية النص الموازي(عتبات النص الأدبي)، الرباط، منشورت المعارف، ٢٠١٤م.
- الحميريّ، عبد الواسع، خطاب الضِّدِّ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م.
- الحيرشي، محمد، أخلاقيات التأويل: من أنطولوجيا النَّصِّ إلى الخطاب، دار الفاصلة للنشرِ، طنجة، المغرب،٢٠١٩م،١٩.
- خليف، يوسف، تاريخ الشِّعْر في العصر العباسي، دار الثَّقَافَة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١م.
- درويش، العربي حسن، أبونواس وقضية الحداثة في الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.
- درويش، العربي حسن، الشعراء المحدثون في العصر العباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.
- أبو ديبٍ، كمال، جدلية الخفاء والتَّجلِّي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٧٩م.
- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- السَّعديَّة، حليمة، استراتيجيَّة العُنوان في الكتاب النقديّ القديم، رسالة ماجستير،جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠٠٥م.
- الشابشتي، علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ)، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، دار المدى، بيروت، ٢٠٠٨م.
- صدقي، عبدالرحمن، ألحان ألحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م.

- الطّاهر، علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١م.
- عباس، عبد الحليم، أبو نواس، ط٣، دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة،١٩٨٦م،٤١.
- عبدالرحمن، صالح الخميس، خاتمة القصيدة في القرن الرابع الهجري في العراق والشام، النادي الأدبي بالرياض، الرياض،٢٠١٤م.
- عبدالعال، محمد سيد علي، بلاغة الحجاج في الشعر القديم(حجاج الشّاعر شفيعًا ومُحرِّضًا)، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٤م.
- عبدالعال، محمد سيد علي، صَرَّدُرَّ والتَّقاليدُ الشّعريَّةُ للقصيدةِ العبَّاسيَّةِ، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٤م
- عبدالعال، محمد سيد علي، النص الذي وجد ظله(عتبات النص السّردي الحديث)، مصر، طنطا، النابغة للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠م.
- عبدالنَّاصر حسن، سيموطيقا العنوان في شعر عبدالوهاب البياتي، دار النَّهضة العربيَّة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي،ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.
- عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.
- العقاد، عباس محمود، أبو نواس: الحسن بن هانئ، المكتبة العصرية، بيروت،(د.ت).
- عمر، مصطفى، بحوث في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٧م.

- عيسى، فوزي، دراسات نقديَّة في ديوانِ بَوح البَوادي للشَّاعرِ عبد العزيز سُعُود البابطين، مؤسسة البابطين، الكويت، ١٩٩٦م.
- الغذَّامي، عبد الله محمَّد، ثقافة الأسئلة (مقالاتٌ في النَّقد والنَّظريّة)، ط٢، دار سُعاد الصبّاح، القَاهرة، ١٩٩٣م.
- الفيل، توفيق، القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م.
- الكيالي، سامي، خمر وشعر، دار الرائد، حلب،١٩٦٣م.
- محمود، عبدالرحمن عبدالسلام، التأويل السيميائي للشعر(أمل دنقل من العلامة إلى التاريخ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٢١م.
- محمود، عبدالرحمن عبدالسلام، فتنة التأويل: المتنبي من النَّصِّ إلى الخطاب، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٦م.
- أبوموسى، مُحمَّد مُحمَّد، مَدخَل إلى كِتابيْ عبد القاهر الجرجاني، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- النويهي، محمد، نفسية أبي نواس: مكتبة الخانجي، القاهرة،(د.ت).
- يوسف، أحمد عبدالحي، صيغ الأمر والنَّهي في ديوان أبي نواس: دراسة أسلوبيَّة، مصر، طنطا، التركي للطباعة والنشر، ١٩٨٨م.

ثالثاً: الدّوريَّاتُ العِلميَّةُ:

- ربابعة، موسى، التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، ع١، ١٩٩٠م.
- السّماعيل، عبدالرَّحمن إسماعيل، العنوان في القصيدة العربيَّة، مجلَّة جامعة الملك سُعود، كليَّة الآداب، مجلد٨، ١٤١٦ه/١٩٩٦م

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٣١٢
٢-	Abstract	١٣١٣
٣-	المُقَدِّمة:	١٣١٤
٤-	التَّمْهِيد:	١٣١٨
٥-	١- عَتَبات الخَمريَّات:	١٣٢١
٢-	١/١- عَتَبة العُنوان:	١٣٢١
٣-	١/٢- عَتَبة الخاتمة بين المحو والاستبدال:	١٣٢٩
٤-	٢- تأويلات الخمر بين ثقافة العصر ونزوع الذات:	١٣٣٧
٥-	٢/١- الخمريات بين مجون الذات وثقافة الزندقة:	١٣٣٨
٦-	٢/٢- خطاب المجون خطاب الثورة:	١٣٤٥
٧-	٢/٣- العلامة اللغوية في الخمريات:	١٣٤٨
٨-	الخاتمة:	١٣٥٨
٩-	أولًا : المصادر:	١٣٦١
١٠-	ثانيا: المراجع:	١٣٦١
١١-	ثالثا: الدوريات العلمية:	١٣٦٤
١٢-	فهرس الموضوعات	١٣٦٥